

## باب : أكل كلمة التقوى

- ١- وقول الله تعالى عن كلمة التقوى: (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) . فكل أكل له موسم إلا أكل هذه الكلمة فهو في كل حين؛ لأن ربها هو الذي يرعاها ويمدها ويبارك فيها.
- ٢- وقول الله تعالى: ( من جاء بالحسنة فله خير منها) والحسنة هي هذه الكلمة. فمن جاء بها على وجهها رزقه الله خيراً عظيماً منها أي بسببها.
- ٣- وقول الله تعالى: (والذين آمنوا بالله ورسوله هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم). فمن حقق التوحيد فهو الصديق وهو الشهيد.
- ٤- وقول الله تعالى: (قد أفلح من تزكى) وهذه الكلمة تورث أعظم تزكية وأجملها.
- ٥- وقول الله تعالى: (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) فأراد الله أن يفتن قلبك لما أراد منه من التوحيد المتولد من إجلال الله وتعظيمه ورهبته لأنه هو يتوفى الأنفس.
- ٦- وفي حديث العباس رضي الله عنه مرفوعاً ( ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً) فمن رضي ذاق طعم الأكل.
- ٧- وفي حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان) وكل الثلاث من لوازم تحقيق كلمة التقوى. فمن حققها وجد للإيمان حلاوة لا يعدلها شيء.

وشهادة أن لا إله إلا الله إذا ثبتت في القلب بالثببات السبع وهي:  
الصدق والإخلاص والمحبة، والعلم واليقين، والانقياد والقبول؛ آتت أكلاً لا يشبهه شيء وفي  
كل حين بإذن ربها، ومن أشهر أكلها سبع ثمرات حلوة هي:

### الأولى: التوكل

التوكل على الله حال عزة واعتزاز، وثقة وتفويض. وسببه: صحة التوحيد وجودة العقل وحسن  
العلم بالله وإحسان الظن به ومحبته. ومعناه: ما في حديث البراء مرفوعاً (اللهم إني وجهت  
وجهي إليك، وأسلمت نفسي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة  
إليك، لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك) ولذلك قال اجعلهن آخر ما تقول قبل منامك.

١- وقول الله تعالى (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ  
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبِ  
عِبَادِهِ خَبِيرًا).

٣- وقول الله تعالى: (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ  
مُبِينٍ).

٤- وقول الله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).

٥- وأعظم مقامات التوكل ما كان في أمر إقامة الملة والدين:

وقول الله تعالى عن نوح عليه السلام (يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي  
بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ).

وقال عن إبراهيم عليه السلام والذين معه عليهم السلام: (رَبَّنَا عَلَيْنَا تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ  
أُنَبِّئْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا).

وقال عن هود عليه السلام: (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ  
أَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

وقال عن موسى عليه السلام: (يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ

مُسْلِمِينَ. فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

وقال عن شعيب عليه السلام: (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ).

وقال: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

وقال عن محمد عليه الصلاة والسلام: (فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . وتوكل على العزيز الرحيم).

وقال (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ).

وقال: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).

وقالت الرسل كافة: (وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ).

٦- والتوكل على الله أعظم صفات المهاجرين الصادقين:

وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوَّتُهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).

٧- والتوكل على الله من أسباب سكنى الغرفات وهي منازل الصديقين: وقول الله

تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).

٨- والتوكل على الله أقوى أسباب النجاة من كيد اللعين:

وقول الله تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ).

٩- والتوكل على الله أعظم تسلية للمؤمنين:

وقول الله تعالى: (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ). إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين).

ومثلها قول الله تعالى: (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا). وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا).

ومثلها قول الله تعالى: (وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا). ومثلها قول الله تعالى: (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ).

ومثلها قول الله تعالى: (إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).

ومثلها قول الله تعالى: (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

١٠- والتوكل على الله أعظم أسباب رفع الخلاف بين المسلمين:

وقول الله تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

ومثلها قول الله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

١١- والتوكل على الله موئل الأولياء الأصفياء المستغنين عن الآدميين:

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كَانَ آخِرَ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قَالَ: وَقَالَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلَهَا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. رواه البخاري والنسائي.

وعن محمد بن عبد الله بن جحش، قال: تفاخرت زينب وعائشة رضي الله عنهم، فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء. وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في كتاب الله عز وجل؛ حين حملني ابن المعطل على الراحلة. فقالت لها زينب: ما قلت

حين ركبتها؟ قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل! قالت لها زينب: قلت كلمة المؤمنين). رواه ابن الدنيا في التوكل. ولما برأها الله قالت: (لا أحمدكم ولكني أحمد الله) فردت الفضل لأهله.

الثانية: الخوف

الخوف : حال علم بالله ورهبة، وخشية وهيبة، مع رجاء ومحبة.

وكلما ازداد الإيمان واليقين بكلمة التقوى في قلب المؤمن؛ لم يعد يستحضر في قلبه إلا الخوف من الله وحده.

والخوف سراج القلب وسوط النفس. وبه يبصر العبد ما فيه من الخير والشر. وما فارق الخوف قلباً إلا خرب. والخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوات والشبهات منه وطرد الدنيا عنه.

ومعناه: اضطراب القلب ووجله من تذكر عظمة الله وحقه ولقائه وغضبه وإعراضه وخذلانه وحجابه ومكره وناره.

والخائف دائماً يفرع إلى الهرب ممن يخافه، إلا من خاف من الله فإنه يهرب إليه، قال تعالى: (ففرؤا إلى الله إني لكم نذير مبين).

وكلما اقترب العبد من ربه أكثر كلما زاد خوفه ووجله، وهيبة الله ورهبتة؛ ألا ترى إلى شدة خوف الملائكة والأنبياء من ربهم؛ لأن علمهم به وبصفاته أكمل.

١ - وقول الله تعالى عن خليله الأواه إبراهيم عليه السلام الذي روي عنه: أن جلسه كان

يسمع خفقان قلبه من شدة خوفه من ربه عز وجل: (إن إبراهيم لأواه حلیم) والأواه: كثير التأوه والخوف والحزن.

وقال (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً . وسع ربي كل شيء علماً) فخاف من الخذلان ونزع العصمة.

ومثلها قول شعيب عليه السلام: (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها. وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا. وسع ربنا كل شيء

علما. على الله توكلنا).

وقول الله تعالى عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام : (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَهِي  
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ).

وقول الله تعالى عن نوح عليه السلام: (وي قوم من ينصروني من الله إن طردتهم أفلا  
تذكرون).

وقول الله تعالى عن صالح عليه السلام: (فمن ينصروني من الله إن عصيته).

وقال عن الملائكة: (وهم من خشيته مشفقون) وقال (يخافون ربه من فوقهم).  
وقال (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم).

٢- وقول الله تعالى عن المؤمنين: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا  
تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).

وقول الله تعالى: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ  
الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ).

وقول الله تعالى: (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا).

٣- والخوف من الله هو سبب الدرجات العلى والنعيم المقيم:

وقول الله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ  
الْمَأْوَىٰ). ومثلها قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان). جنة لتقواه وجنة لخوفه.

٤- والخوف من الله هو قيد النفس عن الحرام:

وقول الله تعالى: (لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِلَهِي  
أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ). ومثلها قول الله تعالى: (لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ).

٥- والخوف من الله هو سبب إحسان العباداة:

وقول الله تعالى ( واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين. الذين  
يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأثم إليه راجعون). وقال سفيان: (ما أطاق أحد حسن  
العبادة إلا إذا خاف).

٦- وأهل الانتفاع بالآيات هم أهل الخوف من الله:  
وقول الله تعالى: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ  
وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ). ومثلها قوله تعالى (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد).

٧- وأهل التمكين هم أهل الخوف من الله:  
وقول الله تعالى: (وَلَنْسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ  
وَعِيدَ).

والخشية من الله نوع من الخوف وهي أخص منه، فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء  
العاملين؛ لأنها خوف من الله عن علم تام به وبصفاته؛ وعلى قدر العلم والعمل تكون  
الخشية، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية).

١- وقول الله تعالى في وصف المؤمنين: (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . وَالَّذِينَ  
هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ).

٣- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ).

٤- وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ  
سُوءَ الْحِسَابِ).

٥- وأهل الخشية هم أهل الانتفاع التام بما يسمعون وقول الله تعالى: (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ  
الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى). ومثلها قول الله تعالى: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ  
الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ). ومثلها قول الله تعالى:  
(فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى . سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى).

٦- وقول الله تعالى في آخر سورة البينة: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ  
رَبَّهُ).

٧- وقول الله تعالى: (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

٨- وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (مالي لا أرى حلاوة الإيمان تظهر عليكم، والله لو  
أن دُبَّ الغابة وجد طعم الإيمان لظهرت عليه حلاوته، وما خاف عبد على إيمانه إلا

مُنَحِّهِ، وما أَمِنَ عبد على إيمانه إلا سُلِبَهِ).

وما اجترأ أهل البدع كالجهمية والأشعرية والمرجئية والحرورية على أن يأتوا بمثل ما أتوا به من العظائم والجرائم إلا لأنهم يعبدون إلهًا مجهولاً معدوماً مجرداً من الصفات لا يخافونه ولا يرجونه. أو لأنهم اتخذوا دينهم لعباً وهواً وغرهم الحياة الدنيا. وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون.

الثالثة : الرجاء

والرجاء: أن يكون ربك عندك في أحسن صورة؛ كما أنه كذلك في الحقيقة؛ فيحملك ذلك على أن تحسن به الظن، وألا تتعظم شيئاً تسأله إياه، ولا تقنط من رحمته، ولا تيأس من روحه، وتعظم فيه الرغبة والأمل، وتحسن له العمل. وتقول: بعد لطفك بنا. ربنا افعل بنا كل ما

أنت له يا إلهي أهل

١- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

٢- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ).

٣- وقول الله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا).

٤- وقول الله تعالى: (مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

٥- وقول الله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ).

٦- وقول الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا).

٧- وقول الله تعالى في آخر الكهف: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا).

٨- وقول الله تعالى عن المشركين: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا



وَاطْمَأْنُونُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ. أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

٩- وقول الله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا).

#### الرابعة: الشكر

هناك ارتباط عجيب بين التوحيد والشكر؛ وذلك لأن التوحيد أعظم نعمة تستوجب الشكر، وأيضاً لن يوفق له إلا الشاكرون.

١- وقول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ).

٢- وقول الله تعالى: (بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ).

٣- وقول الله تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا).

٤- وقول الله تعالى: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا).

٥- وقول الله تعالى: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ).

٦- وقول الله تعالى عن الشيطان: (ثُمَّ لَا يَنبَغُهُمْ مِنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ).

٧- وقول الله تعالى: (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ).

فالمشركون يعلمون أن الشكر من أعظم حقوق التوحيد.

٨- وقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال: (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة كافرون . واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون).

- ٩- وقول الله تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).
- ١٠- وقول الله تعالى عن خليته إبراهيم: (شَاكِرًا لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).
- ١١- وقول الله تعالى لموسى عليه السلام: ( يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ).
- ١٢- وقول الله تعالى لداود عليه السلام: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ).
- ١٣- وقول الله تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ). أي شاكرون بلبس الدروع والجهاد من أجل التوحيد. ومن الدروع: العلم الحامي من الشبهات والشهوات ومن سهام إبليس.

#### الخامسة: الإنابة

والإنابة هي القرب من الله والرجوع إليه في كل ما أهم العبد؛ إن احتار وإن احتاج، وإن اهتم وإن اغتم، وإن عثر وإن أذنب، وإن نسي وإن غفل. وكلما قويت كلمة التقوى في قلب العبد كان سريع الإنابة، دائم القرب من ربه، كثير الرجوع إليه. والمنيب هو الأواب.

- ١- وقول الله تعالى عن خليته إبراهيم عليه السلام (إن إبراهيم لحليم أواه منيب). وقال عن داود عليه السلام ( فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب) وقال عن سليمان عليه السلام: (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب).
- وقال عن سليمان وأيوب عليهما السلام (نعم العبد إنه أواب).
- ٢- وقول الله تعالى: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون، وإخوانهم يمدوهم في الغي ثم لا يقصرون).
- ٣- وقول الله تعالى: (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد. هذا ما توعدون لكل أواب

حفيظ. من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب).

٤- وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ).

٥- وقول الله تعالى: (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

٦- وقول الله تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ).

٧- وقول الله تعالى: (قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ).

والتوبة من الإنابة:

١- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا).

٢- وقول الله تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ).

٤- وقول الله تعالى عن قول كل الأنبياء لأقوامهم: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ).

٥- وقول الله تعالى: (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ).

٦- وقول الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ).

٧- وقول الله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى). فسرهما

السلف: وإني لذنو مغفرة لمن تاب من شركه، فرجع منه إلى الإيمان بي (وآمن) أي: وأخلص لي الألوهية، ولم يشرك في عبادته إياي غيري. (وَعَمِلَ صَالِحًا) أي: وأدى فرائضي التي افترضتها عليه، واجتنب معصيتي (ثُمَّ اهْتَدَى) يقول: ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيئاً منه.

وعن أبي هريرة مرفوعاً ( لله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد. ومن الضال الواجد.

ومن الضمان الوارد).

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه. والفاجر يرى ذنوبه مثل ذباب مر على أنفه فذبه عنه).  
قال سعيد بن المسيب رحمه الله: (الأواب: الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب).

#### السادسة: الدعاء

حال الدعاء هو أوضح صورة للعبودية الحقة؛ فلن ترى داعياً إلا وقد تذلل وتمسكن، وطأطأ رأسه ومد يديه، وربما فاضت عيناه، فإن كان يدعو وهو ساجد اكتملت غاية العبادة بالقول والعمل؛ ولذا قال تعالى (واسجد واقترب)، وقال عليه الصلاة والسلام: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاجتهدوا فيه بالدعاء) وقال: (الدعاء هو العبادة) وفي لفظ (مخ العبادة).

١- وقول الله تعالى عن أنبيائه: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ). وقول الله تعالى عن إبراهيم الخليل: (وَأَعْتَرُكُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا).

٢- وقول الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ).

٣- وقول الله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ).

٤- وقول الله تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ).

٥- وقول الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

٦- وقول الله تعالى: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

٧- وقول الله تعالى: (قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ).

السابعة: الدعوة إلى كلمة التقوى

فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره ودعا إليه.

- ١- وقول الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) أي حدث بالتوحيد.
- ٢- وقول الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ).
- ٥- وقول الله تعالى: (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ).
- ٦- وقول الله تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ).
- ٧- وقول الله تعالى عن نوح عليه السلام: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا). ودعا يوسف عليه السلام إلى كلمة التقوى أحسن دعوة وهو سجين.

وكذلك شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ إذا ثبتت في القلب بالمشبات السبع وهي: الصدق والإخلاص والمحبة، والعلم واليقين، والانقياد والقبول؛ آتت أكلاً لا يشبهه شيء وفي كل حين يأذن ربها، ومن أشهر أكلها سبع ثمرات حلوة هي:

الأولى: سرعة الاستجابة لدعوته ولأمره ﷺ

١- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ).

٢- وقول الله تعالى: (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ . الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ).

٣- وقول الله تعالى: (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَاد).

٤- وقول الله تعالى: (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِير).

٥- وقول الله تعالى: (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيد).

٦- وقول الله تعالى معاتباً المؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيل).

٧- وقول الله تعالى عن المشركين: (فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (خرج رسول الله ﷺ على أبي بن كعب وهو يصلي، فقال: يا أبي! فالتفت فلم يجبه، ثم صلى أبي، فخفف، ثم انصرف إلى رسول

الله ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، قال: وعليك، قال: ما منعك إذ دعوتك أن تجيبي؟ قال: أي رسول الله، كنت في الصلاة، قال: أفلست تجد فيما أوحى الله إلي أن (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)، قال: بلى، يا رسول الله، ولا أعود. رواه أحمد.

- ٢ -

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (كان أبو بكر خدينا للنبي ﷺ، وصفيًا له، فلما بُعث ﷺ انطلق رجال من قريش إلى أبي بكر، فقالوا: يا أبا بكر! إن صاحبك هذا قد جُن، قال أبو بكر: وما شأنه؟ قالوا: هو ذاك في المسجد يدعو إلى توحيد إله واحد، ويزعم أنه نبي، فقال أبو بكر: وقال ذاك؟ قالوا: نعم، هو ذاك في المسجد. قالت: فأقبل أبو بكر إلى النبي ﷺ فطرق عليه الباب، فاستخرجه، فلما ظهر له، قال له أبو بكر: يا أبا القاسم، ما الذي بلغني عنك؟ قال: وما بلغك عني يا أبا بكر؟! قال: بلغني أنك تدعو لتوحيد الله، وزعمك أنك رسول الله، فقال النبي ﷺ: نعم يا أبا بكر، إن ربي عز وجل جعلني بشيرًا ونذيرًا، وجعلني دعوة إبراهيم، وأرسلني إلى الناس جميعًا. فقال له أبو بكر: والله ما جربت عليك كذبًا، وإنك لخليق بالرسالة؛ لعظم أمانتك، وصلتك لرحمك، وحسن فعالك، مُدّ يدك، فأنا أبايعك، فمد رسول الله ﷺ يده، فبايعه أبو بكر وصدقه وأقر أن ما جاء به الحق، فوالله ما تلعثم أبو بكر حيث دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام». ذكره الطبري في الرياض النضرة. ولذا سمي (الصديق) وأمر نبينا صحابته بتوقيره.

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرْفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ»، وَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ عُمَرَ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ إِنِّي نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، فَأَبَى عَلَيَّ، فَتَبِعْتُهُ الْبَقِيعَ كُلَّهُ، حَتَّى تَحَرَّزَ بِدَارِهِ مِنِّي، وَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أبا بَكْرٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ حِينَ سَأَلَهُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ

فَأَبَى عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ: هَلْ تَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَعَلِمَ أَنَّهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَلَّمَ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ وَجْهَهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَكُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى عُمَرَ مَا يَكْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَمَا أُودِي بَعْدَهَا.

٣- وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه: الفضيخ، فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً، إذ جاء رجل، فقال: هل بلغكم الخير؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حرمت الخمر، قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوها عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل. متفق عليه.

٤- وقال عروة بن مسعود الثقفي واصفاً سرعة استجابة الصحابة للنبي ﷺ: (ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً، إذا أمرهم ابتدروا أمره). رواه البخاري.

٥- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه جاء يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فسمعه يقول: اجلسوا! فجلس بباب المسجد، فرآه النبي ﷺ فقال له: تعال يا عبدالله بن مسعود. رواه أبو داود.

٦- ومثلها: سمع عبدالله بن رواحة، وهو بالطريق رسول الله ﷺ وهو يقول: اجلسوا! فجلس في الطريق، فمرَّ به النبي ﷺ فقال: ما شأنك؟! فقال: سمعتك تقول: اجلسوا! فجلست، فقال له النبي ﷺ: زادك الله طاعة.

٧- وعن أنس: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، فَتَزَلَّتْ: ﴿قَدْ تَرَى تَقْلَبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ



صَلُّوا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ) رواه مسلم.

الثانية: اليقين التام بصدقه في كل ما أخبر به:

- ١- وقول الله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ).
- ٢- وقول الله تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) والإيمان هو التصديق المتبوع بعمل.
- ٣- وقول الله تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ . يُكْفَرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ).
- ٤- وما رد الصديق على الفاروق رضي الله عنهما في قصة الحديدية إلا بتمام التصديق لكل ما أخبر به النبي ﷺ، قال عمر رضي الله عنه: (أتيت النبي ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله؟ قال: بلى! قلت: ألسنا على الحق؟ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى! قال: قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى! قال: أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية، ومتطوف به، قال: فأتيت أبا بكر رضي الله عنه، فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله، ولن يعصي ربه عز وجل، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، وقال يحيى بن سعيد: تطوف بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق. قلت: أوليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى. قال: أفأخبرك أنه يأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية، ومتطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً). رواه أحمد.

الثالثة: حسن طاعته في كل ما أمر

- ١- وقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون. ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون).
- ٢- وقول الله تعالى: (وإن تطيعوه تهتدوا).
- ٣- وقول الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا).
- ٤- وقول الله تعالى: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ).
- ٥- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا).
- ٦- وقول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ).
- ٧- وقول الله تعالى: (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول).

والآيات في وجوب طاعة رسول الله ﷺ أملاها الإمام أحمد رحمه الله فبلغت بضعا وثلاثين آية.

الرابعة: حسن الانتهاء عن كل ما نهى عنه.

- ١- وقول الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا).
- ٢- وقول الله تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا).
- ٣- وقول الله تعالى: (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا).
- ٤- وقول الله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

- ٥- وقول الله تعالى: (فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً).
- ٦- وقول الله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ).
- ٧- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ).
- ٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما مثلي ومثل أمي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه- وفي رواية قال: (فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذٌ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني تقحمون فيها). متفق عليه.
- ٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم). متفق عليه.

#### الخامسة: أن لا يعبد الله إلا بما شرع

- ١- وقول الله تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ).
- ٢- وقول الله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ).
- ٤- وقول الله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا).
- ٥- وقول الله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً).
- ٦- وقول الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا).
- ٧- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

٨- وعن عائشة قالت: رسول الله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد). متفق عليه.

٩- وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري). رواه أحمد. وشاهده قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ).

السادسة: عدم رفع الصوت عليه وعلى سنته، وحسن اتباعه ونصرته

١- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

٢- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا).

٤- وقول الله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

٥- وقول الله تعالى: (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون).

٦- وقول الله تعالى (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

٧- وقول الله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا).

٨- وقول الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ).

٩- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ).

١٠- وقول الله (ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلا تُنصِرُنَّهُ).

١١- وقول الله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ).

١٢- وقول الله تعالى: (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم).

١٣- وقول الله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

١٤- وقول الله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ).

١٥- وقول الله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ).

١٦- وعن تميم الدارنى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم). رواه مسلم.

١٧- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، فأناديهم: ألا هلم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً سحقاً).

السابعة: محبة آل بيته عليهم السلام وأزواجه من آل بيته عليهم السلام، وأصحابه، وعداوة من عاداهم، وبغض من أبغضهم.

١- وقول الله تعالى: (قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).

٢- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

٣- وقول الله تعالى: (وأزواجه أمهاتهم).

٤- وقول الله تعالى: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء).

٥- وقول الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

٦- وقول الله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).

٧- وقول الله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا).

٨- ونحفظ فيهم وصية رسول الله ﷺ يوم قال: (أذكركم الله في أهل بيتي).

٩- ويوم قال ﷺ: (الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه).

١٠- وقال ﷺ: (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بُغض الأنصار).

١١- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه ﷺ خطب، فقال: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي). رواه مسلم.

١٢- وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته).

١٣- وقال الصديق لعلِّي رضي الله عنهما: (والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي).

١٤- وقال عمر للعباس رضي الله عنهما: (والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، لأن إسلامك كان أحب إليّ رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب).

١٥- ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبدالله العطاء جعله في أهل ثلاثة آلاف، وأسامة بن زيد في أهل ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقال عبدالله لأبيه: لم فضلته علي؟ فوالله ما سبقني إلى مشهد؟ فقال له: لأن زيدا كان أحب إليّ رسول الله ﷺ من أبيك، وأسامة

أحب إليه منك، فأثرت حب رسول الله ﷺ على حبي).

١٦- وكان الإمام مالك رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشياً عليه، دخل عليه الناس، فأفاق فقال: أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل، فسئل بعد ذلك؟ فقال: خفت أن أموت، فألقى النبي ﷺ فأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسبيي). وكان المنصور قد أقاده من جعفر، فقال له: أعوذ بالله! والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حلٍ لقرابته من رسول الله ﷺ.

١٧- وقيل لابن عباس: ماتت فلانة - لبعض أزواج النبي ﷺ- فسجد! فقيل له: أتسجد هذه الساعة؟ فقال: أليس قال رسول الله ﷺ: (إذا رأيتم آية فاسجدوا)؟ وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ.

١٨- وقال أيوب السخيتاني: (من أحب أبا بكر فقد أقام الدين. ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل. ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله. ومن أحب علياً فقد أخذ بالعروة الوثقى. ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد ﷺ فقد برئ من النفاق. ومن انتقص أحداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح، وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يجبهم جميعاً ويكون قلبه لهم سليماً).

وأي كعة أو توقف عن ما مضى من الاسترسال التام مع الرسول في كل أمره فإنه باب الردة الأعظم؛ لأنه تشكيك في رسالته ونبوته وعصمته. وهذا معنى قول الصديق للفاروق (لا تهلك). ومعنى قوله تعالى (أن تصيبهم فتنة) قال الإمام أحمد: الفتنة الشرك؛ لعله إذا رد شيئاً من أمر الرسول أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وهذا معنى قول السلف (أسرع الناس ردة أهل الأهواء).

وهذا معنى تشديد السلف النكير على أهل الرأي لأنهم أعرضوا عن السنة وردوها واستهزأوا بها وزاحموها بالرأي والاستحسان والحيل.

## باب: أسباب وأبواب الكفر السبعة

١ - وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية).

٢ - وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم قال: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني).

إذا دخل العبد في قبة السلم والإسلام فإنه يخرج منها من أبواب سبعة- ما لم يمنع من ذلك مانع، وبعد التأكد من خروجه بالطرق الشرعية-. وهذه الأبواب السبعة هي المضادة للمثبتات السبع لكلمة التقوى التي هي مفتاح القبة، وهي **المقابلة لأعضاء السجود السبعة؛** - فالسجود رمز التصديق والفرح والاستسلام - ،وهاك بيانها:

### الأول : باب الإعراض المضاد للعلم الواجب بمعنى كلمة التقوى

فهذا كافر أشاح بوجهه عن الحق الظاهر؛ لأن الجهل بالواضحات إعراض، والصدُّ عن سبيل الله صدوداً؛ إعراض. وعلى الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلى الناس البحث والتصديق **ثم الانقياد.** والإعراض يكون كفرةً ويكون سبباً للكفر.

فمن لم يبحث عن الرسول، أو سمع به ولم يأت به ليعلم منه ويؤمن به وبقي على حاله؛ فلم يدخل في القبة ولم يتبع الرسول، أو من جهل أمر التوحيد فهذا كافر ولو لم يفعل الشرك.

١ - وقول الله تعالى: (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ).

٢ - وقول الله تعالى: (بَلْ أْتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ).

٣ - وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ). وآيات ربه كثيرة منها آياته السبع التي تقوم بها الحجة، فمن أعرض عنها؛ فهو ظالم مجرم مستحق للانتقام.

٤ - وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ



الظَّالِمُونَ). فلما بعث الله محمداً ﷺ بالحق من الناس من آمن به، ومنهم من صد عنه ولم يهتم به، ومنهم من كذب به.

٥- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا. إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا). والصدُّ له معنيان هما: الإعراض ومصدره صد صدودا؛ وهذا صد نفسه عن اتباع الحق. وإغواء الناس ومصدره صد صدًا؛ وهذا صد غيره عن اتباع الحق. وكلاهما مراد في الآية.

٦- وقول الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا).

٧- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به). متفق عليه

الباب الثاني: باب الشك المريب المضاد لليقين الواجب بمعنى كلمة التقوى

فهذا كافر زاغت عيناه من الريبة والشك والتوقف عن الواضحات.

١- وقول الله تعالى عن الكفار: (وَأِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ . قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

٢- وقول الله تعالى: (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ).

٣- وقول الله تعالى عنهم: (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَؤُنَا إِلَّا ظَنُّؤُنَا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ).

٤ - وقول الله تعالى: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ).

٥ - وقول الله تعالى: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ).

فمن شكَّ في أن الله هو المستحق للعبادة وحده، أو شكَّ في كفر من أشرك به، أو شكَّ في نبوة محمد ﷺ أو عصمته فيما يبلغ عن ربه، أو وجوب طاعته وعدم الخروج عن شريعته، أو شكَّ في القرآن أو في حرف منه، أو في أركان الإيمان؛ كفر.

مع التفريق بين الشكِّ المريب وهو عمل قلبي، وبين الوسوسة وهي خواطر شيطانية يهجم بها الوسواس الخناس على قلوب المؤمنين وهم يدفعونها ويكرهونها؛ فذلك صريح الإيمان.

الباب الثالث: باب الإباء والاستكبار والتكذيب المضاد للقبول الواجب بكلمة التقوى

فهذا كافر شمش بأنفه وشاق الرسول ﷺ وأعجب برأيه، واعتقد أنه يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ. ويدخل فيه جحود الواجبات واستحلال المحرمات ورد المحكمات.

١ - وقول الله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَشِيرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

٢ - وقول الله تعالى: (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ).

٣ - وقول الله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ).

٤ - وقول الله تعالى: (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقا).

٥ - وقول الله تعالى: (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).

٦ - وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

٧ - وقول الله تعالى: (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ).

## الباب الرابع: باب التولي المضاد للانقياد الواجب لكلمة التقوى

فهذا كافر ولى الإسلام دبره وتولى عنه.

- ١- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ).
- ٢- وقول الله تعالى عن النار: (تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى).
- ٣- وقول الله تعالى: (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى . وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى).
- ٤- وقول الله تعالى: (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ . فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ).
- ٥- وقول الله تعالى: (أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى . أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى . كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ).
- ٦- وقول الله تعالى: (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى).
- ٧- وقول الله تعالى عن موسى وهارون عليهما السلام: (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى).

والكفر بالتولي نوعان هما:

الأول: الكفر بالترك المجرد الذي لا يصحبه أمر آخر؛ وهذا خاص بترك الصلاة إجماعاً، قال عبدالله بن شقيق: (كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة).

الثاني: الكفر بالترك والتولي المصحوب بإباء أو امتناع أو استكبار، وهذا عام في جميع الواجبات وترك المحرمات، فمن تولى عن العمل بامتناع - ومنه المقاتلة عليه - أو إباء أو استكبار، فهو كافر ولو لم يكذبه؛ لأنه مناقض لاسم الإسلام والاستسلام، ومن هنا قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين تاركي الزكاة.

الباب الخامس: باب النفاق والزندقة المضاد للصدق والتصديق الواجب بكلمة التقوى

فهذا كافر دارت عيناه يمينا ويسرة مكرًا وخداعًا.

فمن قال كلمة التقوى عالمًا بمعناها غير شك فيها، لكنه قالها وهو غير صادق في الاستسلام والانقياد لها بل هو ممن (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً)؛ فهذا تنفعه في عصمة ماله ودمه، لكن إن ظهر ما في باطنه من الكفر؛ كأن يفرح بظهور الكافرين على المسلمين، أو يتمنى تمكنهم من المسلمين، أو يحزن لظهور المسلمين، أو يطعن في الدين؛ فهذا كافر زنديق يجب قتله ولا تقبل توبته في الدنيا، لقول الله تعالى: (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا . مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أُحْذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا).

- ١- وقول الله تعالى: (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا).
- ٢- وقول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا).
- ٥- وقول الله تعالى: (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا). والفتنة الشرك.
- ٦- وقول الله تعالى: (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم).
- ٧- وقول الله تعالى: (الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين).

الباب السادس: باب الإِشْرَاق مع الله المضاد للإِخْلَاص الواجب لكلمة التقوى

وهذا كافر استهزأ بربه والتفت إلى غيره، وأدخل معه الشركاء.

وجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ما لا يقدر عليه إلا الله.

- ١- وقول الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ).
- ٢- وقول الله تعالى: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ).
- ٥- وقول الله تعالى: (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ).
- ٦- وقول الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به).
- ٧- وفي حديث أبي الدرداء مرفوعاً (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً). رواه أبو داود.

والإِشْرَاق استهزاء بالله يفوق التعطيل من وجه؛ فمن لم يدعك إلى وليمة أهون ممن دعاك ودعا معك أضدادك وأعداءك ليستهزئ بك، والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

الباب السابع: باب البغض والكُره والاستهزاء المضاد للمحبة الواجبة لكلمة التقوى

وهذا كافر بدت البغضاء والاستهزاء من فمه وما يخفي صدره أكبر.

- ١- وقول الله تعالى: (وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ).
- ٢- وقول الله تعالى: (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ).
- ٣- وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ).
- ٤- وقول الله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ).
- ٥- وقول الله تعالى تعجباً من حالهم: (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِيرَةِ مُعْرِضِينَ . كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ). فجمعوا بين الإعراض والبغض والنفور.
- ٦- وقول الله تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ).
- ٧- وقول الله تعالى: (قُلْ أِبَاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ).

ولا فرق في جميع هذه الأبواب بين الهازل أو الجاد أو الخائف، أما المكره فسيأتي تفصيله.

## باب: السبب الحقيقي لكل أبواب الكفر هو عبادة الشيطان

لما لعن الله الشيطان وطرده؛ أقسم اللعين فقال: (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ).  
والصراط على متن الهاوية وعليه أبواب تؤدي إليها. والنفس قد تتحالف مع الشيطان وتدله على نقاط الضعف في العبد، والخبيث قد تمرس بيني آدم عبر القرون، ففي حديث عكاف بن وداعة الهلالي مرفوعاً: (أبالشيطان تمرسون). رواه أحمد.

- ١- فإذا رأى في العبد كسلاً أو كبراً؛ فتح له باب الإعراض عن الحق.
- ٢- وإذا رأى في العبد وسواساً أو ريبة أو حيرة؛ فتح له باب الشك المريب.
- ٣- وإذا رأى في العبد مزاحاً واستهزاء ولعباً أو حقداً أو حسداً؛ فتح له باب البغض والاستهزاء.
- ٤- وإذا رأى في العبد نفاقاً وخداعاً ووجهين؛ فتح له باب النفاق والزندقة.
- ٥- وإذا رأى في العبد اعتماداً على المحسوسات وإعجاباً برأيه؛ فتح له باب الإباء والاستكبار والتكذيب.
- ٦- وإذا رأى في العبد ندالة وكفراً للنعمة وقلة شكر؛ فتح له باب الإشراك.
- ٧- وإذا رأى في العبد أنفة واستكباراً؛ فتح له باب التولي.

وقد جاءت في القرآن آيات كثيرة تدل على أن الكفر كله يرجع إلى الإشراك وعبادة الشيطان ومن ذلك:

- ١- قول الله تعالى عن خطبة الشيطان في النار على كل أصناف الكفار: (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ).
- ٢- وقول الله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ).

- ٣- وقول الله تعالى عن الخليل وقوله لأبيه: (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا).
- ٤- وقول الله تعالى: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين).
- ٥- وقول الله تعالى: (بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ).
- ٦- وقول الله تعالى في الآية الفاذة الجامعة: (وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا). فجميع طوائف الكفار هم في حقيقة الأمر ما يدعون إلا شيطانا مريداً.
- ٧- وقول الله تعالى: (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا).
- ٨- وقول الله تعالى: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون).
- ٩- وقول الله تعالى: (فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ).
- ١٠- وقول الله تعالى مبيناً سبب الشرك بكل أنواعه وأبوابه: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ).
- ١١- وفي حديث عياض بن حمار رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله تعالى: إني خلقت عبادي كلهم حنفاء، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً). رواه مسلم.



## باب: الموانع المزعومة للتكفير بترك جزء كلمة التقوى الأول

من ترك التللفظ بكلمة (لا إله إلا الله) أو تلفظ بها وأتى بما يناقضها من أبواب الكفر السبعة وهو (عاقل بالغ متعمد) فإنه كافر ولا عذر له يمنع من تكفيره البتة.

فأما غير العاقل وغير البالغ وهم المجانين والأطفال، فهؤلاء إن كانوا أبناء مسلمين فهم تبع لأهلهم في الدنيا والآخرة (ويلحق بالمجنون: المعتوه والنائم والمغمى عليه ومن كان تحت تأثير المخدر)

وأما أطفال المشركين ومجانينهم الذين لم يعقلوا قط بعد البلوغ، فهؤلاء تبع لأهلهم في الدنيا في التبييت والرق والقتل غير المتعمد، وفي الآخرة نسكت عن أمرهم ونقول كما قال رسول الله ﷺ: (الله أعلم بما كانوا عاملين). فإن الله لو جازاهم بمقتضى علمه السابق بهم لم يكن ظالماً لهم؛ لأنه لو أعطاهم سبعين فرصة ليظهر عملهم للعيان، فلن يخرجوا عن علم الله السابق، وإن أعطاهم الله فرصة في الآخرة ليظهر علمه فيهم ويظهر عملهم للعيان، فهو أعلم وأرحم، ولا نعلم أحداً يعطى فرصة أخرى في الآخرة بعد معاينة الجنة والنار، إلا أن يكون هؤلاء ممن لم يظهر لهم عمل في الدنيا- إن صحّت الأحاديث بامتحان الآخرة-.

وأما إن نقض كلمة التقوى وزعم أنه غير متعمد فإن كان نقضها بالأفعال فزعمه غير متصور من العاقل- والمراد تعمد الفعل لا تعمد الكفر- وإن كان نقضها بالأقوال فهذا متصور وإن صدق فهو معذور؛ كمن قال كلمة الكفر من شدة دهش، أو شدة فرح، أو شدة خوف من الله غلب عليه فأدهشه، أو سبق لسانه ونحوه، فهذا لا يؤاخذ لأنه لم يتعمد القول أصلاً ولم يرده ولم ينوه ولم يقصده، وهنا مناط التكليف.

١- وقول الله تعالى: ( وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا).

٢- وقول الله تعالى: ( رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا). قال الله: قد فعلت، قد فعلت.

٣- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك! أخطأ من شدة الفرح). رواه البخاري ومسلم.

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر؛ فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. قال: ففعلوا ذلك به، فقال الله للأرض: أدي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال خشيتك يا رب! أو قال مخافتك، فغفر له بذلك). متفق عليه. وفي رواية: (لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد). رواه أحمد.

وأما المكلف المتعمد إذا ترك (لا إله إلا الله) أو نقضها فلا عذر له، وقد ذكر الناس أعماراً سبعة نستعرضها لننظر فيها وهي:

#### الأول: الجهل

وهذا المانع لا يتصور هنا! لأن أصل كلمة (لا إله إلا الله) بمعناها ومقتضاها لا يتوقف على السمع حتى يتصور الجهل وعدم البلاغ والتنبيه، بل نصب الله عليها قبل السمع ست آيات يستوي فيها كل بني آدم.

وإنما قد يتصور الجهل ببعض فروعها كالحلف بالآباء باللسان دون اعتقاد التنديد، وكاعتقاد البركة في بعض الأشياء دون اعتقاد التنديد كحديث ذات أنواط، وكالتنديد في التلفظ باللسان دون اعتقاد التنديد كقول (ما شاء الله وشئت)، ومثلها من ظن جواز سجود الاحترام في شريعتنا كسجود يعقوب ليوسف عليهما السلام دون اعتقاد التنديد؛ فهذه لا تناقض أصل الكلمة، وإذا نبه العبد فتنبه لم تضره. **ولا يمنع ذلك من التغليظ عليه.**

- ١- وقول الله تعالى: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).
- ٢- وقول الله تعالى: (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِي تُؤْفَكُونَ . كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).

والجهل بأصل كلمة التقوى؛ إعراض لشدة وضوحها وكثرة أدلتها.

- ١- وقول الله تعالى: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ).
- ٢- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة؛ فقد بينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر).

وما ذكر الله الجهل في القرآن إلا ذمه ولم يجعله عذراً كالخطأ والنسيان.

- ١- وقول الله تعالى لنبيه ﷺ: (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ).
- ٢- وقول الله تعالى لنوح عليه السلام: (إِنِّي أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ). أي أهلك.
- ٣- وقول يوسف عليه السلام (وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ).
- ٤- وقول موسى عليه السلام: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ).
- ٥- وقول الله تعالى: (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون).
- ٦- وقول الله تعالى: (أَتُنْكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ).
- ٧- وقول الله تعالى: (قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ).
- ٨- وقول الله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ).
- ٩- وقول الله تعالى: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ).

## الثاني: التأويل والشبهة

وهذا ليس بعذر في الترك لكلمة (لا إله إلا الله) أو نقضها.

وقد ذكر الله الكفار وذكر تأويلاتهم وشبهاتهم في القرآن، ثم بين أنهم مخلدون في النار ولم يعذرهم.

١- وقول الله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ).

٢- وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى).

٣- وقول الله تعالى: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ). إلى قوله: (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ).

٤- وقول الله تعالى: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا).

٥- وقول الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ).

٦- وقول الله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ).

٧- وقول الله تعالى: (وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ).

٨- وقول الله تعالى: (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ).

٩- وقول الله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ).

١٠- وعن عمارة بن زاذان؛ قال: (بلغني أن القدرية يحشرون يوم القيامة مع المشركين؛

فيقولون: والله ما كنا مشركين! فيقال لهم: إنكم أشركتم من حيث لا تعلمون).

رواه عبدالله بن أحمد في السنة.

وإذا كان التأويل لا يعد عذراً فما ظنك بالهزل وهو دون التأويل في قوة الشبهة!

وقول الله تعالى: (وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم).

وهذا ليس بعذر في ترك كلمة (لا إله إلا الله) أو نقضها.

وقد ذكر الله في سورة الزخرف أصناف المقلدين، ويبيّن أن ذلك هو سبب الضلال لا سبب المنع من الإكفار؛ فذكر الآباء والعظماء والأمراء والأخلاء.

١- وقول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ).

ومثلها قول الله تعالى: (إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِم يُهْرَعُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ).

ومثلها قول الله تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا).

٣- وقول الله تعالى: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ).

ومثلها قول الله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ). إلى قوله: (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ).

وقول الله تعالى: (إِذِ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ).

٤- وقول الله تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ).

ومثلها قول الله تعالى: (وَيَوْمَ يَعْزُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا).

٥- وقول الله تعالى: (أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ).

الرابع: التلفظ بكلمة التقوى بطرف اللسان

إن من أعجب ما أوحاه الشيطان إلى أوليائه: أن عدو كلمة التقوى الذي ينقضها من كل وجه ويغضها ويعاديها ويعادي أهلها يمنع من كفره أنه يلفظها بلسانه وإن كان فعلاً يلفظها. وهذا أمر لو أدركه فرعون وهامان وأبو جهل وأبو لهب لبادروا إليه ولما قامت العداوة بينهم وبين الرسل.

١- وقول الله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَتِنَا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ).

فكانوا يعلمون أن قولها يستلزم الكفر بالطاغوت، فسحقاً لمن كان هؤلاء أعلم بكلمة التقوى منه.

٢- وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

من معانيها (وهو ينسب إلى الإسلام) وهي في قراءة طلحة بن مصرف الإيامي رحمه الله (وهو يدعى إلى الإسلام) بفتح الياء وتشديد الدال، أي: ينتمي وينسب. وفي هذا أوضح دليل على أن المنتسب للإسلام إذا افتري على الله الكذب بالشرك؛ فهو أعظم الظالمين ولن يهديه الله خصوصاً إذا دعي للإسلام الصحيح فأبي.

٣- وعن أبي ذر مرفوعاً (من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجله قبل أن يتكلم:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَى عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحُرْسٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِدَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشَّرْكُ بِاللَّهِ). رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وهنا قال الكلمة ولم تنفع مع الشرك.

أما الاعتقاد فإنه لا يتصور فيه الإكراه، وأما الإكراه على كلمة لا يتبعها أثر فسيأتي، وأما من أكره على الردة عن الإسلام وعن موجب كلمة التقوى، أو أكره على عمل يناقض كلمة التقوى كالسجود للأولياء أو الذبح لهم ونحو ذلك؛ فإنه يكفر وليس الإكراه عذراً له. فكما أنه لا إكراه في الدخول في الدين، فلا إكراه في الشرك والردة عن الدين. وكما أنه لا إكراه في إزهاق النفس فلا إكراه في الردة عن التوحيد؛ بل قد ذم الله في كتابه من يرتد ويفتن ولو أكره.

١- وقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا).

وهذه الآية عامة محكمة ليس فيها استثناء لمكروه ولا غيره، وقد قضت على كل متشابه، وحكمت على كل آية؛ ولذا ردّها الصحابة رضي الله عنهم على كل الطوائف والأقوال.

٢- وقول الله تعالى: (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا).

من معانيها: لو عدتم مع الرجم فلن تفلحوا أبداً؛ لأن (أو) تأتي بمعنى (الواو).

٣- وقول الله تعالى: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ). إلى قوله: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ).

وقد روى مسلم في صحيحه عن صهيب رضي الله عنه قصتهم مبسوطاً، وفيها أن الراهب صبر حتى قُتل، وأن الغلام دلّهم على كيفية قتل نفسه لما علم أن ذلك سبب لإيمان الناس إذا رأوا تلك الآية، وأن الناس لما آمنوا فتنهم الكفار حتى يرجعوا عن دينهم فلم يرجعوا، حتى إن المرأة التي أرادت أن ترجع أنطق الله صبيها، وقال: اصبري يا أماه؛ فإنك على الحق. ولو كان الصبر للتحريق مستحباً ليس بواجب لعذر الله النساء والأطفال والضعفة.

٤- وقول الله تعالى: (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

- وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) أي: من يتردد مع مقاتلته
- ٥- وقول الله تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذِ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا).
- ٦- وقول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ). إلى قوله: (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ).
- ٧- وقول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ).
- ٨- وقول الله تعالى: (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ).
- وقد أدب الله نبيه ونحن معه أن نسير على خطاهم، فقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ ائْتَدِهِ). فعلمنا أن عدم اعتبار الإكراه في الشرك الأكبر ليس خاصاً بالأمم السابقة.
- ٩- وقول الله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ).
- ١٠- وقول الله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).
- ١١- وقول الله تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ).
- ١٢- وقول الله تعالى: (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ). مع ما أصابهم من ذبح أولادهم وسبي نساءهم.
- ١٣- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا



مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).

فلما كان ترك الهجرة من أعظم أسباب الفتنة والوقوع في الشرك؛ توعدهم الله بجهنم وسماهم ظالمين؛ مع إقرار الملائكة لهم بأنهم مستضعفون في أرضهم مكرهون على الموافقة لقومهم، لكن أرض الله واسعة.

١٤- وقول الله تعالى: (وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

وأعظم القسط التوحيد وترك الشرك، وهؤلاء صبروا حتى قتلوا وقد وجب ذلك الصبر عليهم، كما صبر الإمام أحمد بن حنبل للسياق ورأى ذلك واجبا عليه.

١٥- وقد ذم الله المنافقين بسرعة استجابتهم للشرك ولو بالإكراه، فقال تعالى: (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا). وبضدها تتبين الأشياء.

١٦- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (أوصاني رسول الله ﷺ أن لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت أو حرقت - وفي رواية: وإن قطعت أو عذبت). رواه أحمد.

١٧- وفي الصحيحين عن خباب بن الارت رضي الله عنه، قال: (أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله لنا، ألا تستنصر لنا، قال: فقعد وهو محمر وجهه، وقال: قد كان من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه).

١٨- ومن ذلك ما حصل للصحابة رضي الله عنهم من الكرب العظيم والبلاء الشديد بسبب التوحيد وترك الشرك، حتى قتل من قتل وطرده من طرده، ومن ذلك قصة أبي جندل. ورسول الله ﷺ الذي وصفه ربه عز وجل بأنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) لو كان يجد لهم رخصة لأخبرهم بها، وليس كل أحد يطيق الفضل المستحب، قال تعالى عن السابقين الأولين: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ). فأخبر أنهم لم يقوموا كلهم لما كان استحبابا.

١٩- وفي قصة ماشطة ابنة فرعون، وسحرة فرعون، وصبرهم أنفسهم للقتل دون الردة والشرك؛ دليل على عدم اعتبار الإكراه في الشرك الأكبر.

٢٠- وعن سلمان رضي الله عنه، قال: (دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قُرب! قال: ليس عندي شيء! فقالوا له: قُرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قُرب، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل. فضربوا عنقه، فدخل الجنة). رواه أحمد في الزهد بسند صحيح.

٢١- وقالت رقيقة الثقفية رضي الله عنها دخل عليّ النبي ﷺ حين جاء يتغي النصر من ثقيف بالطائف، فأمرت له بالسويق فشرب، ثم قال لي رسول الله ﷺ: لا تعبدي طاغيتهم ولا تصلي لها. قلت: إذا يقتلونني! قال: فإذا قالوا لك، فقولي: ربي رب هذه الطاغية، وإذا صليت فوليتها ظهرك. قالت: ثم خرج. فقالت ابنة رقيقة: أخبرني أخوأي وهب وسفيان ابنا قيس بن أبان، قالوا: فلما أسلمت ثقيف أتينا رسول الله ﷺ أو خرجنا إلى رسول الله ﷺ فقال: ما فعلت أمكما؟ قالوا: ماتت على الحال الذي تركتها عليه. قال: لقد أسلمت أمكما إذاً. أخرج ابن أبي عاصم والطبراني.

٢٢- وسئل الإمام أحمد عن أسير أكره على الردة أله أن يفعل ذلك؟ فكرهه كراهة شديدة، وقال: هذا لا يشبه من نزلت فيهم آية النحل من أصحاب النبي ﷺ أولئك كانوا يرادون على الكلمة فحسب ثم يتركون يعملون ما شاءوا، وهذا يريدونه على ترك دينه والإقامة على الكفر). رواه الأثرم.

فإذا ثبت أن الإكراه لا يعد عذراً فما ظنك بالخوف وهو دون الإكراه؟.

متى يكون الإكراه عذراً؟

من أكره إكراهاً حقيقياً لا تخويفاً فحسب، على أن يقول بطرف لسانه كلمة الكفر؛ كأن يذكر آهتهم بخير أو يذكر رسول الله ﷺ بسوء ونحو ذلك، وقلبه مطمئن بالإيمان؛ إنما هي كلمة من طرف اللسان، فهذا رخص له أن يتكلم إن أراد الرخصة، وإن صبر نفسه فهو أفضل إن قوي.

وقد صبر بلال رضي الله عنه وهانت عليه نفسه في ذات الله، وصبر ياسر وسمية رضي الله عنهم أنفسهما للقتل ولم يجيبا، وترخص ابنهما عمار رضي الله عنه فتكلم وفيه نزلت آية الإكراه وهي:

١- قول الله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ).

وسبب نزول هذه الآية أن عماراً رضي الله عنه أخذه المشركون، فلم يتركوه حتى قال: ما ﷺ وذكر آهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ سب رسول الله وراءك؟ قال عمار: ما تركوني حتى نلت منك، وذكرت آهتهم بخير، فقال: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان، فقال: إن عادوا ، فعد).

قال ابن عباس رضي الله عنه: (أخبر سبحانه أنه من كفر بعد إيمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، فأما من أكره فتكلم بلسانه وخالف قلبه بالإيمان لينجو من عدوه؛ فلا حرج عليه لأن الله إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم).  
وأجمع الصحابة رضي الله عنهم- لا يعلم بينهم خلاف- على أن الرخصة في الكلمة فحسب، وذكر ذلك المفسرون، وأن هذه تشبه الآية الأخرى في تولى المشركين وهي:

٢- قول الله تعالى: (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (التقاة: التكلم باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، ولا ييسط يده إلى قتل أو إلى إثم). ولذلك إن تحول التولي إلى فعل كفر صاحبه ولو كان مكرهاً، كما حصل مع المسلمين الذين خرجوا إلى بدر لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه وهم مكرهون حقيقة فلم يقبل الله عذرهم وأنزل فيهم هذه الآية:

٣- قول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).

قال الأوزاعي رحمه الله - وهو أفقه الناس في الجهاد وأحكام الأسرى -: (بلغنا أن الإكراه إنما هو التقية في القول فحسب).

٤ - وقول الله تعالى: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا).

قال المفسرون: من معانيها: إلا من أكره بظلم على أن يجهر بالسوء من القول كفرًا أو نحوه فله رخصة في الجهر بالسوء.

### السادس: فساد الزمان والمكان

وهذا ليس بعذر في ترك كلمة (لا إله إلا الله) أو فعل ما يناقضها.

١ - وقول الله تعالى: (قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).

٢ - وقول الله تعالى: (إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ).

٣ - وقول الله تعالى عن الفتية: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا). لما أحسوا بفساد الزمان والمكان أووا إلى كهف في رأس جبل. وقد نوه الله قبل هذه الآية بذكر الأرض، فقال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا). قال السلف في تفسيرها: (اختبارًا لهم أيهم أتبع لأمرى وأعمل بطاعتي).

٤ - وقول رسول الله ﷺ عن المدة التي تسبق بعثته: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم). ومع ذلك من أشرك منهم فهو كافر مخلد في النار.

٥ - وقول رسول الله ﷺ: (إن أبي وأباك في النار). وكان في شر زمان وشر مكان.

٦ - وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيِّ: (كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ). رواه مسلم.  
فوصفهم بشر زمان وشر حال وشر مكان.

السابع: عدم الفهم

وهذا سماه الله عقوبة وهو عدله فيهم، وسماه المفتونون عذراً:

١- وقول الله تعالى: (وَتَقَلَّبُ أَفْعِدَّتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

٤- وقول الله تعالى: (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

٥- وقول الله تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ).

٦- وقول الله تعالى: (إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

٧- وقول الله تعالى: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا).

٨- وقول الله تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ).

٩- وقول الله تعالى: (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتِكَ تَضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ).

## باب: الأسماء والأحكام الثلاثة للمشرك

لما لم تقبل الموانع المزعومة للتكفير بترك (لا إله إلا الله) فإن المعين المكلف إذا فعل الشرك الأكبر- ولو كان يلفظ كلمة التقوى- فإنه يستحق مباشرة الاسم الظاهر وهو (مشرك).  
ثم يستحق مباشرة الاسم الباطن وهو (كافر). ثم إذا مات على شركه فيما يظهر لنا فإنه يستحق مباشرة الاسم الثالث وهو (خالد في النار).

وقد جمع الله هذه الأحكام الثلاثة في آيات كثيرة منها:

١- قول الله تعالى: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ. قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ).

٣- وقول الله تعالى: (وَجَعَلْ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلٌ تَمَتَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ).

٤- وقول الله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلٌ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ).

٥- وقول الله تعالى: (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ).

وقد سمعنا الله تعالى في الآيات السابقة يأمرنا بالتصريح لهم بهذه الأسماء والأحكام، كقوله: (قُلٌ تَمَتَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا). وقوله: (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ).

وكل الأحكام الدنيوية والأخروية المترتبة على هذه الأسماء الثلاثة فهي لازمة لمن فعل الشرك الأكبر أو قاله.

والحكم عليه بالشرك والكفر قد تبين بالآيات المحكمات فيما سبق من أبواب، وأما الحكم له بالخلود في النار، فيزيد اليقين به هذه المحكمات:

١- قول الله تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ). قال ابن عباس رضي الله عنه قال: كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأموأهم ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا. "وقال الضحاك: "من بعد ما تبين لهم؛" يقول تعالى أي إذا ماتوا مشركين لقوله تعالى "إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة".

٢- وقول الله تعالى " وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه " قال ابن عباس رضي الله عنه فيها: "ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله ففترأ منه".

٣- قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ).

٤- قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ).

٥- قول الله تعالى: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

٦- وقول الله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ". قال ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نشك في قاتل النفس وأكل مال اليتيم وشاهد الزور وقاطع الرحم حتى نزلت هذه الآية (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأمسكنا عن الشهادة. "

أي امسكوا عن الشهادة للمعين من أصحاب الكبائر بالنار إلا من مات مشركا. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم في حديث صلح الحديبية: " أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى " متفق عليه.

٨- عَنْ سَلْمَةَ بِنِ يَزِيدَ الْجَعْفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَأَخِي فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أُمَّنَا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُقْرِي الضَّيْفَ فَهَلْ يَنْفَعُ ذَلِكَ أُمَّنَا شَيْئًا؟ فَقَالَ : لَا ، فَقُلْنَا : إِنَّهَا وَأَدَّتْ أُخْتَنَا لَنَا لَمْ تَبْلُغِ الْحِنْتَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْوَائِدَةُ وَالْمَوْعُودَةُ فِي النَّارِ إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ ، فَيَعْفُو اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا" أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي.

٩- وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: أبوك في النار فلما قفي قال: إن أبي وأباك في النار. رواه مسلم.

١٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله عز وجل أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، الناس بنو آدم وآدم من تراب ، مؤمن تقي وفاجر شقي ، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها» رواه أحمد وأبو داود.

١١- وعن أبي ریحانة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً أو كرمًا فهو عاشرهم في النار" رواه أحمد.

١٢- وفي حديث وفد بني المنتفق، قال رسول الله: (ما أتيت عليه من قبر قرشي أو عامري كافر؛ فقل: أرسلني إليك محمد صلى الله عليه وسلم)، فأبشر بما يسؤوك تُجرُّ على وجهك وبطنك في النار). رواه أبو داود. قال الحافظ ابن منده: " روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصاغانى وعبدالله بن أحمد بن حنبل وغيرهما وقد رووه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين وجماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازي وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل-البخاري- ولم ينكره أحد ولم يتكلم في إسناده بل رووه على سبيل القبول والتسليم ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل أو مخالف للكتاب والسنة".

١٣- وفي الطبقات الكبرى لابن سعد لما توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد وكان بينهما شهر وخمسة أيام اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصبيتان؛ فلزم بيته وأقل الخروج ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه، فقال: يا محمد! امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه، لا واللات لا



يوصل إليك حتى أموت، وسبَّ ابن الغيظلة النبي ﷺ فأقبل عليه أبو لهب فنال منه، فولى وهو يصيح: يا معشر قريش صباً أبو عتبة! فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب، فقال: ما فارقت دين عبد المطلب، ولكني أمني أخى أن يضام حتى يمضي لما يريد، قالوا: قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم، فمكث رسول الله ﷺ كذلك أياماً يذهب ويأتي لا يعترض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب إلى أن جاء عقبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام إلى أبي لهب، فقالا له: أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك؟! فقال له أبو لهب: يا محمد! أين مدخل عبد المطلب؟ قال: مع قومه! فخرج أبو لهب إليهما، فقال: قد سألته، فقال: مع قومه، فقالا: يزعم أنه في النار! فقال: يا محمد! أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب؛ دخل النار. فقال أبو لهب: والله لا برحت لك عدواً أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار، فاشتد عليه هو وسائر قريش).

١٤ - وعن طارق بن شهاب، قال: (لما صالح أبو بكر ﷺ أهل الردة، صالحهم على حرب مجلية أو سلمٍ مخزية؛ قالوا: قد عرفنا ما الحرب المجلية، فما السلم المخزية؟! قال: أن تشهدوا أن قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار؛ ففعلوا). رواه أحمد في الفضائل وعبدالرزاق وابن أبي شيبة، وأصله في البخاري.

ومن توقف في الجزم بالنار للمشركين، يقال له: أين مسيلمة الكذاب؟ فإن قال في النار قيل: أين النص على ذلك؟ وإن قال: نتوقف فيه؛ انفضح وانتهك ستره! وإن قال: إنما منعنا من الجزم للمشرك بالنار مخافة أن يكون أسلم قبيل موته، قيل: وهذا الاحتمال موجود في مسيلمة، وموجود أيضاً في المسلمين؛ فلعلهم ارتدوا قبيل موتهم، فلماذا نصلي عليهم ونترحم عليهم؟ إنما هذه وساوس لم تكلف بها وكلفنا بالظاهر.

ثم إن القرآن دل على أن الكفار عند الموت لا يرجعون بخلاف من صرَّح بالتوحيد قبل الغرغرة:

١ - وقول الله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ).

٢- وقول الله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

## باب موانع التكفير بترك جزء كلمة التقوى الثاني

من ترك الإيمان بكلمة (محمد رسول الله) ليس في درجة من ترك الإيمان بكلمة (لا إله إلا الله). والسبب أن الجزء الثاني لكلمة التقوى متوقف على السمع. والجزء الأول لكلمة التقوى أقام الله عليه سبع آيات يستوي في العلم بها كل الآدميين. لذلك يمنع من التكفير بترك كلمة (محمد رسول الله) مانعان هما:

الأول: عدم السماع بالرسول المصحوب بعدم الإعراض

فالذي يقول: (لم أعلم ولم أسمع أن محمداً رسول الله) عذره أوسع ممن يقول (لم أعلم أن الله هو الواحد في عبادته مع اعترافه أنه هو الواحد في خلقه وإحيائه وإماتته) بشرط أن يكون الأول قد بذل كل وسعه في البحث عن الرسل، فلم يسمع بهم ومات على التوحيد الخالص.

١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). رواه مسلم.

٢- وفي السيرة أن قريشاً اجتمعت يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً، فخلص منهم أربعة نفر نجياً، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض، قالوا: أجل، وهم ورقة بن نوفل، وعثمان بن الحويرث، وعبيد الله بن جحش، وزيد بن عمرو بن نفيل. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، يا قوم! التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الخنيفة دين إبراهيم. فأما ورقة بن نوفل فاستحکم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب. وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، ومعه

امراته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة، فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام حتى هلك هنالك نصرانياً. وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده. وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموعودة، وقال: أعبد رب إبراهيم، وبادئ قومه بعب ما هم عليه).

ولذلك كان هذا العذر أوسع في أيام البعثة إذا مات على التوحيد، وكلما مرت الأيام كلما ضاق هذا العذر لانتشار الخير، فأما في زماننا ومع انفتاح العالم على بعضه حتى صار كالقرية الصغيرة فإنه يصعب أو يستحيل على الباحث الحريص على الحق ألا يكون قد سمع بمحمد ﷺ وأنه رسول الله.

وأما المعرض فلا عذر له إذا قال: لم أعلم!

١ - وقول الله تعالى: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ).

٢ - وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا).

٣ - وقول الله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ).

٤ - وقول الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ).

المانع الثاني: الإكراه

تقدم في حديث عمار أنه قال: (ما تركوني حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فقال ﷺ: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان، قال: إن عادوا، فعد).

أما التأويل والشبهة كظن بعضهم أن رسول الله للعرب خاصة، أو التقليد، أو فساد الزمان والمكان، أو عدم الفهم ، أو الخوف ونحو ذلك؛ فليست أَعذاراً مقبولة في ترك الإيمان بأن محمداً رسول الله.

١- وقول الله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ).

٢- وقول الله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

٣- وقول الله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ).

٤- وقول الله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).

كذلك لا تقبل هذه الأَعذار في ترك الوحي ومشاقة الرسول ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين في ما اجتمع عليه هو وأصحابه من بعده كالاعتذار بالأَعذار السابقة لأهل الرأي والجهمية والأشعرية والمعتزلية والصوفية والمرجئية والحرورية والإخوانية والتبليغية وسائر الثنتين وسبعين فرقة، فكلهم اسمهم الظاهر مبتدعة، واسمهم الباطن الكفر أو الفسوق، ومن كان مشركاً أو يتولى المشركين؛ فليس من هذه الأمة أصلاً كالرافضية.

## باب: أوصاف تارك كلمة التقوى

بعد هذا التطواف نقف عند الأوصاف التي وصف الله بها من ترك كلمة (لا إله إلا الله) أو ترك كلمة (محمد رسول الله) وهي في القرآن كثيرة، نكتفي فيها بسبعة:

الأول: أنهم مفترون

فكل مشرك أو مبتدع فهو ممن افتري على الله الكذب بإطلاق

١- وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ).

٢- وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ).

٤- وقول الله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا).

٥- وقول الله تعالى: (قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ).

٦- وقول الله تعالى: (قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا).

٧- وقول الله تعالى: (قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ . مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ).

٨- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ).

٩- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا).

١٠- وقول الله تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ).

الثاني: أنهم مستهزونون

فكل مشرك ومبتدع فهو ممن اتخذ آيات الله هزوا بإطلاق؛ بلسان حاله أو لسان مقاله.

- ١- وقول الله تعالى: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ - الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).
- ٢- وقول الله تعالى: (وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوعًا). ومثلها: (وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا).
- ٣- وقول الله تعالى: (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوعًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ).
- ٤- وقول الله تعالى: (ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ).
- ٥- وقول الله تعالى: (فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مِمَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).
- ٦- وقول الله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا).
- ٧- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ).

الثالث: أنهم سفهاء

فكل مشرك ومبتدع فهو سفیه بإطلاق.

- ١- وقول الله تعالى: (وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ).
- ٢- وقول الله تعالى عن موسى في كلامه عن المتكلمين وهم من السبعين الذين اختارهم من نخبة بني إسرائيل ليعتدروا إلى ربهم عن عبادة العجل: (أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا).
- ٣- وقول الله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ).

٤- وقول الله تعالى: (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ).

٥- وقول الله تعالى: (أُولَئِكَ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَّا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ - وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَّا يَعْقِلُونَ).

#### الرابع: أنهم طواغيت

فكل مشرك ومبتدع فهو طاغوت؛ قد طغى وجاوز الحد. والطاغوتية دركات.

١- وقول الله تعالى: (وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى).

٢- وقول الله تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ - أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرًّا مَّآبٍ).

٤- وقول الله تعالى: (فَأَمَّا مَن طَغَى - وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا - فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى).

٥- وقول الله تعالى: (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا - لِلطَّاغِينَ مَآبًا).

٦- وقول الله تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

٧- وقول الله تعالى لموسى عليه السلام: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى).

#### الخامس: أنهم ظلمة

فكل مشرك ومبتدع فهو ظالم بإطلاق.

١- وقول الله تعالى: (إِنَّ الشُّرَكَاءَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

٢- وقول الله تعالى: (وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِّنَ الظَّالِمِينَ).

٣- وقول الله تعالى: (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا . ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا).



- ٤- وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ).
- ٥- وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ).
- ٦- وقول الله تعالى: (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ).
- ٧- وقال نوح عليه السلام: (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا).

السادس: أنهم متكبرون

فكل مشرك ومبتدع فهو متكبر بإطلاق.

- ١- وقول الله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ).
- ٢- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).
- وأصل الجدل: اللي والانحراف ومنه جدائل المرأة.
- ٣- وقول الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ).
- ٥- وقول الله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ).
- ٦- وقول الله تعالى: (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ). ومن قتل الرسول: قتل سنته ومزاحمتها بالآراء.
- ٧- وفي الحديث: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر). رواه مسلم.
- والكبر على الحق أخنع وأبشع من الكبر على الخلق.

السابع: أنهم مفسدون

فكل مشرك ومبتدع فهو مفسد في الأرض بعد إصلاحها بإطلاق.

- ١- وقول الله تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ).
- ٢- وقول الله تعالى عن القرآن وأمثاله: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ. الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ).
- ٣- وقول الله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ).
- ٥- وقول الله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَلُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ).
- ٦- وقول الله تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ).
- ٧- وقول الله تعالى: (وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ - الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ).

## باب: قبح الشرك والبدعة

الشرك بدعة، والبدعة شرك، والشرك والبدعة دركات، وهما أقبح شيء في الوجود؛ لأن فيهما مشاققة لله ورسوله، وجعل شريك لله في عبادته وشريك للرسول ﷺ في شريعته.

وأكثر الناس لم يستقبح الشرك والبدعة؛ لذا يسهل عليه الدفاع عن أهلها والاعتذار لهم. ولو رأى من زنى بأمه كرهاً في جوف الكعبة؛ لاستقبحه غاية الاستقباح وسعى في جهاده وبغضه، ولو رأى من قتل ولده خشية أن يطعم معه لفضل مثل ذلك. أما لو رأى من جعل لله ندًا وهو خلقه أو ترك الصلاة أو جعل لرسول الله ﷺ الذي اختاره الله عز وجل واصطفاه ندًا في الاتباع؛ فإنه لا يستقبح ذلك. وهذا غاية الظلم والسفه والندالة فالشرك والبدعة أكبر عيب في الوجود، كما أن المرأة لو كانت فيها كل المحاسن ثم قيل: هي زانية؛ ذهب محاسنها، فكذلك الشرك والبدعة عند من عقل عن الله ورسوله ﷺ.

والآيات التي فيها قبح الشرك والبدعة وتصوير سرائر هؤلاء من قبل خالقهم وعالم سرهم وعلايتهم من أنفع الأشياء لأهل كلمة التقوى. ومما يسهل الهجرة عنهم وجهادهم وبغضهم. والقرآن كله في هذا ولكن نتخب آيات تدل على ما وراءها، من تدبرها أفلح جدا، فمن ذلك:

- ١ - قول الله تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ).
- ٢ - وقول الله تعالى: (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ).
- ٣ - وقول الله تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).
- ٤ - وقول الله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ

اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ).

٥- وقول الله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ).

٦- وقول الله تعالى: (وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ).

٧- وقول الله تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ).

٨- وقول الله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ).

٩- وقول الله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ).

١٠- وقول الله تعالى: ( وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيْنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا).

١١- وقول الله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ).

١٢- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ).

١٣- وقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

١٤- وقول الله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ - وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ).

١٥- وقول الله تعالى: (أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ، وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ

أَدْعَوْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ).

١٦- وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن أباه حصيناً قال للنبي ﷺ قبل إسلامه: يا محمد!! لعبد المطلب كان خيراً لقومه منك!، كان يطعمهم الكبد والسنام، وأنت تنحرهم!! قال ﷺ: يا حصين! كم تعبد اليوم من إله؟ قال: سبعة آلهة، ستة في الأرض وواحدًا في السماء! قال ﷺ: فأيهم تُعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء). رواه أحمد والترمذي والنسائي.

١٧- وفي السيرة أن عكرمة بن أبي جهل وجماعة من المشركين فروا من مكة يوم الفتح استكباراً عن الإيمان، فركبوا سفينة فلم تلبث أن لعبت بها العواصف وأخذتها الأمواج من كل جانب حتى كادت أن تغرق بمن فيها، فأخذ القوم كلهم يدعون الله ويتضرعون إليه فقال عكرمة: ما هذا؟ فقالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله، فقال عكرمة: هذا إله محمد الذي يدعوننا إليه وإنه إن لم ينجني في البحر غيره، فلن ينجيني في البر غيره، فاللهم رب محمد، إن لك عليَّ عهداً إن عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلاجدنه عفوًّا كريماً فسلم ثم أسلم).

باب: أخلاق المشركين

- ١- وقول الله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا). لا يجد أحداً يحارب الله إلا كان معه على ربه!! وأولهم الشيطان.
- ٢- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ). نجاسة في أرواحهم وقلوبهم وأخلاقهم.
- ٣- وقول الله تعالى: (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ . اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّن خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).
- ٥- وقول الله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ).
- ٦- وقول الله تعالى: (هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْظِكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِن تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّا اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ).
- ٧- وقول الله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُتِبَتْ لَهُمْ تَفْتَرُونَ - وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ).
- ٨- وقول الله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ).
- ٩- وقول الله تعالى: (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ).
- ١٠- وقول الله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيْبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ

بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ  
يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ).

١١- ولما دعا إبراهيم عليه السلام أباه للتوحيد وترك الشرك، قال: (أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ  
آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا).

١٢- ولما دعا شعيب عليه السلام قومه للتوحيد وترك الشرك، (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ  
كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ).

١٣- ولما دعا لوط قومه إلى التوحيد وترك الشرك، مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا:  
(أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ).

١٤- وقال قارون لما دعاه قومه للتوحيد: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي).

١٥- وقول الله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ).

١٦- وقول الله تعالى: (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ).

١٧- وقول الله تعالى: (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ  
جَبَّارٍ عَنِيدٍ). وقال إهم قالوا: (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ  
أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ).

١٨- وقول الله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ  
يَكَادُونَ يَسْطُونُ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا).

١٩- وقول الله تعالى: (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ  
كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ).

٢٠- وقول الله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ  
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).

## الكفر البواح وكفر الإلماح

الكفر منه جلي ومنه خفي، ومنه بواح ومنه إلماح، وهذا مبني على وضوحه وأدلته. فإذا كانت أدلة الأمر لا تقتصر على السمع بل دلت الفطرة والعقل وباقي الآيات عليه، ولا يكاد يخفى على أحد إلا من أعرض؛ فهو كفر جليّ يضيق فيه العذر، وتنعدم معه الموانع ويظهر فيه الإعراض.

وإذا كان فيه خفاء، وأدلته متوقفة على السمع اتسع فيه العذر قليلاً واشتراط البلاغ المبين. ومن هنا صارت بعض الأشياء معلومة من الدين بالضرورة من أنكرها كفر. والأزمة والأمكنة والظروف مؤثرة في هذا، فربُّ أمر كان فيه خفاء في أول الإسلام ثم صار لا يخفى على أحد.

وحديث العهد بالإسلام ليس كغيره.

وهذه الأمور مؤثرة جداً في سرعة إطلاق الكفر على من فعل سببه، أو التريث في أمره.

١ - وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ).

٢ - وقال الله تعالى: (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ).

وسأضرب لذلك أمثلة:

المثال الأول: صفة العلو لله وصفة الساق لله

فالأولى: دلَّ عليها السمع والعقل والفطرة، بل البهائم العجماء تعلم أن الله في جهة العلو؛ فمن أنكرها فكفره جلي ولا عذر له ولا يحتاج للتريث في أمره.

والثانية: متوقفة على السمع فمن لم يسمع بصفة الساق لله بأدلتها ولم يعرض، وأنكرها فإنه يتريث في أمره حتى يُعلم، فإذا وصله الدليل ثم جحده كفر.



المثال الثاني: المشرك وعاذر المشرك

توحيد الله قامت عليه أدلة سبعة؛ استوى فيها كل بني آدم؛ فمن أشرك بالله كفر مباشرة ولا عذر له.

وأما من كفر بالطاغوت ولم يتول المشركين، واعتقد أن الشرك كفر أكبر وظلم عظيم، ولكن قامت عنده شبهة في تكفير المعين، فهذا يُترِث في أمره حتى يُبين له؛ لأن أدلة التكفير ليست كأدلة الكفر في الوضوح؛ فإذا تبين له أمرهم ثم جحد واستكبر فهو منهم. وبيان ذلك في أبواب قادمة.

المثال الثالث: حق الله وحكم الله

فـ(حق الله) في الوجدانية وإفراده بالعبادة أوضح شيء في الوجود، فمن تركه فكفره بواح ولا عذر له البتة.

وأما (حكم الله) فمنه الجلي ومنه الخفي، ومنه المعلوم من الدين بالضرورة ومنه ما لا يعلمه إلا العلماء، ومنه ما لا يعلمه إلا الراسخون في العلم، ومنه ما لا يخفى على عوام الناس؛ فنحتاج إلى تريت مع تارك حكم الله ولا نحتاج إلى التريت في تارك حقه.

ويدل على الفرق بين حق الله وحكمه، وعلى وجود الخفاء في بعض حكم الله ما يلي:

١ - أن حق الله لا يختلف في كل الأديان.

وقول الله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ).

وقول الله تعالى: (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

وأما حكم الله فهو يختلف وكله من عند الله.

وقول الله تعالى: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا).

وربُّ أمر هو أحل الحلال وقد يكون واجباً أو مستحباً في شريعة من شرائع الله وهو بعينه

أحرم الحرام في شريعة أخرى من شرائع الله؛ ككنكاح الأخوات وسجود الاحترام وصيد السمك يوم السبت وغير ذلك.

٢ - أن رسول الله ﷺ لما بعث كانوا قد ضيعوا حق الله في العبادة، وضيعوا حكم الله في

- الدماء والمواريث والأموال والأنكحة وغيرها، فبدأ بالأول وأجلّ الثاني بضع سنين.
- ٣- ومما يدلُّ على خفاء حكمه؛ حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعاً: (وإن حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا). رواه أحمد والبخاري ومسلم.
- ٤- وأيضاً مدحه ﷺ لسعد بن معاذ رضي الله عنه لما أصاب حكم الله من فوق سبعة أرقعة في بني قريظة، ولو كان جلياً لم تكن الإصابة مستغربة وممدوحة.
- ٥- وعن عمرو بن العاص، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إذا حكم الحاكم، فاجتهد، فأصاب، فله أجران، وإذا حكم، فاجتهد فأخطأ، فله أجر). رواه أحمد والبخاري.
- ٦- وروى مالك وأحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة، وزيد بن خالد الجهني، أنهما أخبراه، أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: (يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، وقال الآخر وهو أفقهما: أجل يا رسول الله، فاقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي في أن أتكلم، فقال: تكلم. فقال: إن ابني كان عسيفاً على هذا فزني بامرأته، فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي، ثم إنني سألت أهل العلم، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله ﷺ: أما والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فردُّ عليك وجلد ابنه مائة وغربه عاماً، وأمر أنيساً الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر، فإن اعترفت رجمها، فاعترفت فرجمها).
- ٧- فهذا صحابي ظن أو أفتاه أحد أن هذا حكم الله، ثم استفتى، فدل على حكم الله. أن بعض أحكام الجاهلية أصبحت هي بعينها حكم الله لما أقرها الله في شريعته لموافقته العدل؛ مثل القسامة وقدر الدية وأشياء كثيرة. وأما حقه فهو واحد لا يختلف ولا يقبل الاجتهاد.

## باب: الكفر الناطق والكفر المستنطق

لما كان الكفر منه جلي وخفي، وبواح وإلماح؛ انقسم التعامل مع من بَدَر منه ما يخاف عليه منه إلى قسمين هما :

القسم الأول: القول والفعل الناطق

ومعناه: من كان قوله وفعله ينادي على كفره ويصيح.

وضابطه: أن يكون ليس له إلا احتمال واحد وهو الكفر.

أو كان له احتمالان أحدهما ضعيف مطرح دلت كل القرائن على خلافه، وهذا أكثر ما يكون في الأقوال لأنها ترجمان القلوب.

- مثاله: سب الله تعالى وشتمه، فمهما أعملت الفكر فلن تجد قلباً فيه ذرة إيمان يتوجه إلى ربه بالشتم والسب. وكذلك شتم الرسل وتكذيب المحكمات واستحلال المحرمات بلسانه مع العلم ونحو ذلك.

- وأما الأفعال، فالأصل فيها أن دلالتها ضعيفة واحتمالاتها كثيرة، ويندر جداً أن يكون فيها كفر ناطق.

- مثال الكفر الناطق فيها:

- ١- من سجد لغير الله تعبدًا أو ذبح لغير الله.
  - ٢- قتل نبي وهو يعلم أنه رسول من الله.
  - ٣- وإهانة مصحف وهو يعلم أنه كلام الله.
  - ٤- وترك صلاة وهو يعلم أنها أعظم فرائض الله.
- وهذا القسم بنوعيه قليل في المكفرات.

القسم الثاني: القول والفعل المستنطق

ومعناه: من صدر منه قول أو فعل يخاف عليه منه، أو يستشنع صدوره منه، أو له احتمالات كثيرة. فهذا لا بد من استنطاقه ليعلم مراده والدافع له على ذلك.

وأكثر الأقوال والأفعال هي من هذا الجنس، لا بد فيها من التريث والاستنطاق.  
وقد أدبنا الله بهذا الأدب الحسن الذي ينطوي على حلم وأناة يجبهما الله وعلى ورع وثبت واحتياط في مواطن كثيرة، واستعمله ربنا مع أخلص أوليائه وأبغض أعدائه ليؤدبنا بذلك؛ وكذلك فعل رسوله ﷺ، ومن هذه المواطن:

١- استنطاق الله لإبراهيم عليه السلام لما سأله أن يريه كيف يحيي الموتى قال: (أولم تؤمن).

٢- استنطاق الله لإبليس لما امتنع عن السجود لآدم (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ).

٣- استنطاق موسى عليه السلام لأخيه هارون عليهما السلام لما رآه لم يفارق عبادة العجل: (قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي).

٤- استنطاق الله لعيسى ابن مريم عليه السلام: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُحْنَانِكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ).

٥- استنطاق موسى للسامري لما أحدث عبادة العجل: (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ).

٦- استنطاق عيسى عليه السلام للحواريين لما قالوا: (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُونَا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَتَكُونَ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ).

٧- استنطاق الملائكة لمن مات وهو تارك للهجرة مقيم بدار الشرك (فِيمَ كُنْتُمْ).

٨- استنطاق النبي ﷺ لرجلين رأهما تركا الصلاة معه - وترك الصلاة كفر- قال : (ما منعكما أن تصليا معنا). وفي رواية أنه قال لرجل لم يصل: (ما منعك أن تصلي مع الناس؟ ألسنت برجل مسلم؟).

٩- استنطاق الله للمحرِّق نفسه الذي قال: (إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليم، فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحدًا من العالمين،

ففعّلوا به ذلك، فقال الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال خشيتك. فغفر له) متفق عليه.

١٠- استنطاق رسول الله ﷺ لحاطب لما تجسس للمشركين على الرسول ﷺ فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب! ما حملك على هذا؟ قال: يا رسول الله! لا تعجل علي، إني كنت امرأً مُلصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرةً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام). رواه أحمد والبخاري.

قيل للشافعي رحمه الله: (أرأيت المسلم يكتب إلى المشركين من أهل الحرب بأن المسلمين يريدون غزوهم أو بالعورة من عوراتهم هل يحل ذلك دمه ويكون في ذلك دلالة على ممالأة المشركين؟

قال الشافعي: لا يحل دم من ثبت له حرمة الإسلام إلا أن يقتل أو يزني بعد إحصان أو يكفر كفرةً بيناً بعد إيمان، ثم يثبت على الكفر، وليست الدلالة على عورة مسلم ولا تأييد كافر بأن يحذره أن المسلمين يريدون منه غرة ليحذرها أو يتقدم في نكاية المسلمين بكفر بين.

فقلت للشافعي: أقلت هذا خيراً أم قياساً؟ قال: قلته بما لا يسع مسلماً علمه عندي أن يخالفه بالسنة المنصوبة بعد الاستدلال بالكتاب.

فقيل للشافعي: فاذا ذكر السنة فيه؟ قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد، عن عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت علياً يقول:... ثم ساق حديث حاطب.

قال: ففي هذا الحديث طرح الحكم باستعمال الظنون؛ لأنه لما كان الكتاب يحتمل أن يكون ما قال حاطب كما قال من أنه لم يفعله شاكاً في الإسلام وأنه فعله ليمنع أهله، ويحتمل أن يكون زلة لا رغبة عن الإسلام، واحتمل المعنى الأقبح؛ كان القول قوله فيما

احتمل فعله.

وحكم رسول الله ﷺ فيه بأن لم يقتله، ولم يستعمل عليه الأغلب.

ولا أحد يأتي في مثل هذا بأعظم في الظاهر من هذا؛ لأن أمر رسول الله ﷺ مبين في عظمته لجميع الآدميين بعده، فإذا كان من خابر المشركين بأمر رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يريد غرهم فصدقه؛ كان من بعده أقل من حاله وأولى أن يقبل منه مثل ما قبل منه.

قيل للشافعي: أفرايت إن قال قائل: إن رسول الله ﷺ قال: قد صدق؛ وإنما تركه لمعرفته بصدقه لا أن فعله كان يحتمل الصدق وغيره؟

فيقال له: قد علم رسول الله ﷺ أن المنافقين كاذبون وحقن دماءهم بالظاهر، فلو كان حكم النبي ﷺ في حاطب بالعلم بصدقه كان حكمه على المنافقين القتل بالعلم بكذبهم، ولكنه إنما حكم في كلٍ بالظاهر وتولى الله عز وجل منهم السرائر، ولئلا يكون لحاكم بعده أن يدع حكمًا له مثل ما وصفت من علل أهل الجاهلية.

وكل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو عام حتى يأتي عنه دلالة على أنه أراد به خاصًا أو عن جماعة المسلمين الذين لا يمكن فيهم أن يجهلوا له سنة، أو يكون ذلك موجودًا في كتاب الله (أ.ه من الأم).

١١- وروى ابن ماجه في سننه عن أبي واقد، قال: (لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله، ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا؟! فقال: يا رسول الله! قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم، فأردت أن أفعل ذلك بك، قال: لا تفعل). والمراد هنا- إن صحَّ الحديث- سجود الاحترام كسجود يعقوب ليوסף عليهما السلام، وأيضًا الانحناء يسمى سجودًا كما في قوله تعالى: (ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا).

١٢- وفي قصة تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه قال له رسول الله ﷺ: (ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟).

١٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: يا أبي! وهو يصلي فالتفت أبي ولم يجبه، وصلى أبي رضي الله عنه فخنق، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال

رسول الله ﷺ: وعليك السلام ما منعك يا أبا أن تجيبي إذ دعوتك؟! فقال: يا رسول الله! إني كنت في الصلاة. قال: أفلم تجد فيما أوحى الله إلي أن (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم). قال: بلى، ولا أعود إن شاء الله). رواه الترمذي.  
والآيات والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة، لمن أراد الله هدايته.

## الكفر والتكفير

وقول الله تعالى: (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ).

فالكفر: هو صدور القول أو الفعل الكفري من شخص مكلف متعمد.

والتكفير: هو إصدار (صك التكفير) وما يتبعه من القتل والمقاتلة والسيي واستحلال المال ونحوه.

فالآية بدأت بصدور القول الكفري منهم، ثم عقبته بالواو بإصدار (صك التكفير) عليهم.

وهذه المسألة مهمة جداً في ثلاث قضايا خطيرة وهي:

الأولى: في سائر المكفرات ما خلا الشرك والنفاق

وهي المكفرات التي تُقبل فيها الموانع، ويتسع فيها العذر قليلاً، وفي هذا النوع نستفيد من هذه المسألة بإيجاد برزخ بين الكفر والتكفير، لننظر في الموانع المقبولة والمهدرة، ولنمارس الاستنطاق قبل إصدار الصك عليه.

وفي حديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه عبرة وتزكية، حيث نهى رسول الله ﷺ المتعجلين عن إصدار الأحكام، وفي البرزخ تم الاستنطاق والنظر في الموانع.

الثانية: في أمر النفاق

وهنا نستفيد من هذا التفريق في منع إصدار (صك التكفير) على المنافق ما دام قد اتخذ أيمانه (جَنَّةً)، ولم يظهر منه سوى الإسلام فهو (كافر) غير (مُكْفَرٍ) وله أحكام المسلمين في الدنيا وأحكام الكافرين في الآخرة، بل هو في الدرك الأسفل من النار.

١ - وقول الله تعالى: (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً).

٢ - وقول الله تعالى: (يَوْمَ يَعْثُورُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ



وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ).

٣- وقول الله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ).

٤- وقول الله تعالى: (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ).

٥- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله). رواه البخاري

وقد امتنع رسول الله ﷺ عن تطبيق بعض الآثار المترتبة على إصدار (صك التكفير) وهو القتل، لمصلحة شرعية كبرى؛ ذكرها بقوله: (حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه).

أما لو خلع المنافق الجنة والدرع الذي كان يحمي به، وطعن في ديننا؛ فهذا يكون حكمه أشد من الكافر الأصلي؛ حيث لا تقبل توبته في الدنيا ولا يُدْرَأُ القتل عنه. وتقبل في الآخرة إن كان صادقاً، وهو مذهب السابقين من أهل المدينة.

١- وقول الله تعالى: (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ).

٢- وقول الله تعالى: (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا . مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا . سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا).

٣- وقول الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ).  
ومن عزة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين: أن يُقتل المنافق في الدنيا إذا خلع الجنة

والدرع وأظهر نفاقه وطعن في دين المسلمين.

٤- وعن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ قال: (أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن

حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئاً، فليستتر بستر الله، فإنه من

ييدي لنا صفحته، نقيم عليه كتاب الله). رواه مالك في الموطأ.

٥- وعن عبدالله بن عتبة قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (إن

أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع، وإنما

نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقرّبناه، وليس

إلينا من سريرته شيء؛ الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم

نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة). رواه البخاري.

الثالثة: أمر الشرك الأكبر

تقدّم أن صدور الشرك الأكبر من المتعمد المكلف لا تقبل فيه الموانع وعلى هذا يتلزم

الكفر والتكفير ويتلاشى البرزخ بينهما، فمن فعل الشرك الأكبر أو قاله كَفَرَ وكُفِّرَ في آنٍ

واحد.

فالشرك لا يشبهه شيء من المكفرات، والآية التي تحكم على كل آية قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا).

لكن التفريق بين الكفر والتكفير ينفع هنا في مسائل أخرى منها:

أولاً: أن الحجّة في الكفر: الآيات الست التي يستوي فيها كل آدمي، فمن أشرك فهو كافر

كفراً أكبر مخرج من الملة الحنيفية مطلقاً. وتلحق به أحكام الكفار ولو لم يأته رسول ولا

نذير ولا تنبيه.

وأما إصدار (صك التكفير) وما يترتب عليه من قتل وقتال وسي واستحلال؛ فيحتاج إلى

إنذار وتنبية بالرسول والنذر ويتأكد في أوقات الجهل والغفلة ، فإذا عمَّ الخبر وانتشر الأمر استحب الإنذار وجاز التبييت.

وهذا معنى كلام العلماء في تارك الصلاة وهو مشرك شركاً أكبر قالوا: (يُكْفَرُ وَيَقْتَلُ؛ إِذَا دَعَاهُ إِمَامٌ أَوْ نَائِبُهُ وَاسْتَتَابَهُ).

وهذا معنى كلام بعض العلماء عن بعض أوقات الجهل والغفلة (لم يمكن تكفيرهم لعدم من ينبههم). مع اعتقاد أنهم كفار مخلدون في النار.

ثانياً: أن عذاب الآخرة مرتبط بالكفر وعذاب الدنيا مرتبط بالتكفير فمن أشرك فهو ظالم كافر مخلد في النار ولو لم ينبهه أحد، ولكن عذاب الخزي في الحياة الدنيا الذي يصيبهم الله به بعذاب من عنده، أو بأيدينا؛ بقتل المقدور عليه وقتال الممتنع؛ يحتاج إلى إنذار وتنبية رحمة من الله ومحبة منه للإعذار.

- ١- وقول الله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا).
- ٢- وقول الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزِيَ). أي: من قبل الإنذار والتنبية.
- ٣- وقول الله تعالى: (وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون. ذكرى وما كنا ظالمين) فهذا في عذاب الدنيا، وأما عذاب الآخرة ففي الآية التي بعدها (فلا تجعل مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين) ولم يذكر الإنذار هنا.
- ٥- وقول الله تعالى: (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط).
- ٦- وقول الله تعالى: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى).
- ٧- وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه مرفوعاً: (ليس أحدٌ أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل. وفي رواية وذلك أنه اعتذر إلى

خلقه) متفق عليه

٨- وعن بريدة، قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم يقول: إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى أحد ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك إليها؛ فاقبل منهم وكف عنهم). رواه أحمد.

٩- وعن أبي البخري عن رجل من الصحابة أن النبي ﷺ قال: (لن يهلك الناس حتى يُعذِّروا أو يُعذِّروا من أنفسهم). رواه أبو داود.

ومثال ذلك: من جحد حقاً لأخيه فهو ظالم جاحد متعدي منذ أن جحد، ولو مات استوجب العقوبة، ولكن جرت عادة الناس في الدنيا أنه لا يسجن ولا يجبر على أداء الحق الواجب عليه حتى يُرفع أمره للقاضي لسمع منه وينذره، فإذا أصدر القاضي (الصك) انقطعت أعذاره وساغ للإمام حينئذ تعزيره وإجباره.

ثالثاً: أن تارك الحكم (بالكفر) على المشرك شركاً أكبر يختلف عن تارك الحكم (بالتكفير) وهو ما يسمى (بالعادر) فالذي لم يحكم (بكفر) المشرك؛ لم يعرف الإسلام ولم يدخل فيه ولم يكفر بالطاغوت.

والذي لم يحكم (بتكفير) المشرك المعين لشبهاتٍ عرضت له مع اعتقاده بطلان الشرك وكُفِّرَ من فعله على العموم؛ فهذا يدخل في برزخ قصير لترفع عنه الشبهة وتقام عليه الحجة، وهي من أوضح الأشياء، فإن أصرَّ بعد ذلك؛ فهو مكذب معاند حكمه كحكم من أبي تكفير اليهود والنصارى. ويدل لهذا التفريق ما يلي:

أن الأنبياء والصحابة رضي الله عنهم لم يتوقفوا قط في كفر المشرك المعين وخلوده في النار، وقامت دعوتهم على أنه لا يدخل في الإسلام أحد إلا بهذا الشرط.

وإنما سألوا عن أعماله الطيبة هل تنفعه في الآخرة؟ وهل له عذر عند الله ينجيه من الخلود في النار؟ وهل تُقبل فيه الشفاعة؟ وهل تُطلب له المغفرة؟ ومن ذلك:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتْرَةٌ وَغَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبُّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: " إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلِكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِدِيحٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ " رواه البخاري. قال العلماء: تبرأ من أبيه لما مات مشركاً، ثم لما رآه في الآخرة رحمه فسأل الله له، ثم تبرأ منه مرة أخرى لما رآه بهذه الهيئة.

٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ، فَقَالَ: «اسْتَأذِنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذِنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ» رواه مسلم.

٣- حديث أبي رزين الطويل قال: (قلت: يا رسول الله! ما فعل بهم ذلك - أي: خلود المشركين الذين ماتوا في الجاهلية في النار - وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قال: ذلك لأن الله عز وجل بعث في آخر كل سبع أمم يعني نبياً فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين). رواه أحمد.

٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت: يا رسول الله! إن عبد الله بن جدعان كان في الجاهلية يقري الضيف ويفك العاني ويصل الرحم ويحسن الجوار - فأثيت عليه - فهل ينفعه ذلك؟ قال رسول الله ﷺ: لا؛ إنه لم يقل يوماً قط: اللهم اغفر لي يوم الدين). رواه أحمد ومسلم.

٥- وعن سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله عنه قال: (انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ، قال: قلنا: يا رسول الله! إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل وتفعل، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: لا). رواه

أحمد.

٦- وعن عدي بن حاتم، قال: (قلت: يا رسول الله! إن أبي كان يصل الرحم، ويفعل كذا وكذا، قال: إن أباك أراد أمراً فأدركه، يعني الذكر). رواه أحمد.

٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن أبي كان يصل الرحم، وكان وكان، فأين هو؟ قال: في النار). رواه ابن ماجه.

ومما يدل لذلك تفريق العلماء بين من قال: (القرآن مخلوق) فأجمعوا على كفره دون قيد ولا شرط (إذا كان متعمداً مكلفاً وقامت عليه الحجة) وقالوا بتكفير من لم يكفره بقيود وشروط مذكورة في كتب السنة، قال أبو حاتم الرازي: (من زعم أن القرآن مخلوق مجعول فهو كافر كفرةً ينتقل به عن الملة، ومن شك في كفره ممن يفهم ولا يجهل فهو كافر، ومن كان جاهلاً علماً، فإن أذعن للحق بتكفيره وإلا ألزم الكفر).

والمبتدعة في هذا الباب كالمشركين في التفصيل:

فمن كانت بدعته شركية شركاً أكبر فهو مع المشركين كالروافض والصوفية.

ومن كانت بدعته زندقية فهو مع المنافقين كالجهمية والأشعرية والمرجئة.

ومن كانت بدعته خلاف ذلك احتاج لبرزخ كما في المكفرات الأخرى.

وبهذا يتضح اختلاف التعامل بين من اتخذ إيمانه جنةً ولم يدع إلى بدعته أو يتكلم بها؛

كبعض قدرية البصرة ومرجئة الكوفة، وبين من أظهرها ودعا إليها وخاصم فيها.

قال ابن أبي شيبه قلت لعلي بن المديني: يا أبا الحسن! إن يحيى بن معين ذكر لنا أن مشايخ

من البصريين كانوا يرمون بالقدر إلا أنهم لا يدعون إليه، ولا يأتون بشيء منكر؛ منهم

قتادة، وهشام الدستوائي، وسعيد بن أبي عروبة، وعبد الوارث، وسلام، وكانوا ثقات

فكتب حديثهم، وماتوا وهم يرون القدر، ولم يرجعوا عنه؟! فقال علي: كذا كان أبو

زكريا يقول عندنا.

باب: وجوب المبادرة للحكم (بالكفر) والتريث في الحكم (بالتكفير)

١ - وقول الله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ).

فأمرنا الله بالتصريح بقوله (قل) فالحكم على المشرك بالكفر لا يدخل العبد الإسلام إلا به، وهو معنى النفي في (لا إله إلا الله)، وهو معنى اشتراط الكفر بالطاغوت للاستمساك بالعروة الوثقى، وما قامت العداوة بين الرسل والأمم إلا من أجله، وما جاءت الهجرة والجهاد إلا من أجله.

ولو كانت الرسل تدعو إلى التوحيد ولا تكفر المشرك بعينه؛ لم يحصل من ذلك شيء البتة. بل عرضوا على رسولنا ﷺ أن يعبدوا إلهه سنة ويعبد آلهتهم سنة.

١ - وقول الله تعالى عن خليله إبراهيم: (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

٢ - وقول الله تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ).

٣ - وقول الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

٤ - وقول الله تعالى: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ).

٥ - وفي الطبقات الكبرى لابن سعد قصة أبي لهب بعد موت أبي طالب وتقدمت.

٦ - وروى البخاري ومسلم عن طارق بن أشيم، قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله).

## باب: الشرك لا يشبهه شيء

تقدّم أن الجهل والإكراه وبعض التأويل وما سوى ذلك قد يمنع من التكفير، إلا في الشرك الأكبر فإنه لا يقبل فيه عذر البتة، ولم تنصب الأدلة على قبح شيء كما نصبت عليه، ومن قياس الشرك على غيره نشأ ضلال أكثر الخلق.

١- وقول الله تعالى: (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

٢- وقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا).

وكلمة (دون) تأتي عند العرب لمعان كثيرة، فتأمل معنى الآية.

٣- وقول الله تعالى: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

فالاستهزاء برب العالمين تكذيب وجحود وزيادة، ولا يعدله ذنب.

٤- وقول الله تعالى: (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ). وهي سيئة الشرك.

٥- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أكبر- وفي رواية: أعظم-؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك). متفق عليه.



## باب: الاسم الظاهر والاسم الباطن

للأقوال والأفعال أسماء ظاهرة وأسماء باطنة

فالأسماء الظاهرة هي المترتبة على ربط الاسم والحكم الديني بما ظهر من أقوال أو أفعال ولا ينظر فيها إلى الأعذار ولا إلى الإثم. فمن حلق لحيته سمي (حليقاً) ولو كان معذوراً، ومن كذب سمي (كذاباً) ومن أشرك سمي (مشرکاً) ومن سحر سمي (ساحراً) ومن ابتدع سمي (مبتدعاً) ولو كان له عذر أو قصد حسن.

١ - وقول الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ). فسماه الله مشركاً قبل أن يسمع الحجة. قال الحسن: (هذه الآية محكمة إلى قيام الساعة).

٢ - وقول الله تعالى: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ). فسماه الله مشركاً قبل أن يسمع البينة.

٣ - وقول الله تعالى عن هود: (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ). فسماهم مفترين قبل البلاغ.

٤ - وقول الله تعالى: (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ).

٥ - وقول الله تعالى: (وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ).

٦ - وقول الله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ).

فسماه ظالماً وطاغياً ومفسداً وذلك قبل إرسال الرسول.

والأسماء الباطنة هي الحكم النهائي بعد النظر في الأسباب والموانع، وهي الأسماء الثلاثة المذكورة في قوله تعالى: (وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ).

فاسم (كافر) و(فاسق) و(عاصي) ومثلها (ملعون) و(زنديق) ونحو ذلك هذه أسماء باطنة لا يستعجل العبد في إطلاقها حتى يتبين.

فأما الشرك الأكبر: فإن الاسم الظاهر إذا صدر من مكلف متعمد يستلزم الاسم الباطن مباشرة لانعدام الموانع، ولأن الشرك لا يشبهه شيء - ومنه السحر - .  
وأما الشرك الأصغر: فإن الاسم الظاهر يأتي مباشرة، وأما الباطن فلا بد له من التثبيت. ولعل هذا هو معنى حديث: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) فكونه (أشرك) في الظاهر لا خلاف فيه، وكونه (كفر) قد يوجد في بعض الصور.

وأما النفاق العملي: فهو من الأسماء الظاهرة.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه فلا تخف أن تقول له: منافق، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوْتِمَنَ خان) رواه الفريابي وأصله عند أحمد والبخاري ومسلم.

وأما النفاق الاعتقادي: فهو من الأسماء الباطنة.

وأما البدعة: فاسم (المبتدع) اسم ظاهر يستحقه من ابتدع في الدين مطلقاً. وأما كون المبتدع كافراً أو فاسقاً أو عاصياً فأسماء باطنة تكون بعد التبين والتثبيت.

ويقابل ذلك اسم (المسلم)، وهو اسم ظاهر يستحقه كل من أظهر الإسلام ولم ينقضه بناقض. واسم (المؤمن) اسم باطن لا يستحقه إلا من أتى بشرائط الإيمان.

١ - وقول الله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

٢ - وروى مالك في موطئه وأحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: (إنما أنا بشر مثلكم، وإنكم تختصمون إلي، فلعن بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فلا يأخذ منه شيئاً، فإنما أقطع له قطعة من النار).

- ٣- وروى أحمد في مسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتاه رهط فسألوه، فأعطاهم إلا رجلاً منهم، قال سعد: (فقلت: يا رسول الله، أعطيتهم وتركت فلاناً، فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال النبي ﷺ: أو مسلماً! فردّ عليه سعد ذلك ثلاثاً: مؤمناً، ورد عليه النبي ﷺ: أو مسلماً!).
- ٤- ولما قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: (رُبَّ مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال له رسول الله ﷺ: إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم). رواه أحمد والبخاري ومسلم.

## باب: الإسلام الحكمي والإسلام الحقيقي

الناس بالنسبة للناظر إليهم على أحوال ثلاثة:

الأول: معلوم الحال

وهو من علم باطن حاله بأنه على التوحيد والسنة، ولم يظهر منه ما ينقض ذلك. وهذا تعامله معاملة المؤمنين من الموالاة والمحبة والصلاة خلفه وعليه والتزويج وهو صاحب الإسلام الحقيقي.

- ١- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ).
  - ٢- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ).
  - ٣- وقول الله تعالى: ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُ وَتَصَرَّوْا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ).
  - ٤- (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) الآيات.
  - ٥- وقول الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ).
  - ٦- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ).
  - ٧- (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ).
- ويقابله من علم باطن حاله بأنه على الشرك أو على البدعة فهذا (معلوم الحال) فيعامل

بما علم منه، ويحرم من الموالاة والمحبة، ويمتنع من تزويجه والصلاة خلفه وعليه إلا في أحوال خاصة جدًا.

- ١- وقول الله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ).
- ٢- (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُونَ لَنَا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ الْغُيُوبَ لَكُنَّا مِنَ الْخَائِبِينَ) (أخباركم).
- ٣- وقول الله تعالى: (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).
- ٤- وقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا).
- ٥- وقول الله تعالى: (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا).
- ٦- وقول الله تعالى: (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا).
- ٧- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ).
- ٨- وقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ).
- ٩- وقول الله تعالى: (وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).
- ١٠- وقول الله تعالى: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ).

الثاني: مستور الحال

وهو من لم تعلم باطن حاله وظهر منه الإسلام الظاهر والسنة الظاهرة، ولم يظهر منه ما ينقض ذلك.

فهذا يعامل بما ظهر منه خاصة في أمور الجماعة كالصلاة والحج والجهاد ونحوه. وبالأخص إذا لم يكن ثمة خيار كما لو كان يصلي بالحرمين، أو إمام في بلد ليس بها سواه. فإن الصلاة أحسن ما يفعل الناس، كما قال عثمان رضي الله عنه.

وأما في الأمور الخاصة كالتزويج وأكل ذبيحته؛ فلك الامتناع والتورع إذا كثر الفساد وقامت قرائن أنه غير مفارق للمفسدين.

١- وقول الله تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ).

٢- وقول الله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا).

٣- وقول الله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). فما دام يدفع الزكاة فله حكم الإسلام

الظاهر.

٤- وقول رسول الله ﷺ: (من شهد شهادتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ذمة

الله وذمة رسوله). وفي رواية: (فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا).

وهذا القسم هو ما يطلق عليه (الإسلام الحكمي). فإن ظهر منه ما يعلم منه باطن حاله انتقل للقسم الأول.

الثالث: مجهول الحال

وهو من لم يظهر عليه ما يدل على الإسلام أو يدل على الكفر مطلقاً، فلا تدري أهو مسلم أو كافر وخاصة في بلاد الكفر المحض أو البلاد التي بها مسلم وكافر وليس للكافر علامة تميزه؛ فهذا تتوقف في أمره حتى يتبين لك.

وقول الله تعالى: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ).